الجـــمهورية الجزائرية الديـــــمقراطية الشعبية
وزارة التعلـــيم العالـــي و البحـــث العلمي
جـــامعة مولود معمـري – تيـزي وزو
كليـــة الآداب واللغات
قسم اللغة العربية و آدابها

التخصص: اللغة و الأدب العربي.

الفرع: النظرية الأدبية المعاصرة.

مـــذكرة لنـــيل درجـــــة الماجستير

الموضـــــــــوع:

إعداد الطّالب: منير شعبان

السّجـــال النّـــقدي في الـــرّد على اللّـــزوميـات للمعـــرّي

لجـــــنة المنـــــاقشة:

أ.د/ صلاح يوسف عبد القادر، أستاذ التعليم العالي، جامعة مولود معمري تيزي وزو..... رئيســـا
د/ بوجمعة شتوان، أستاذ محاضر صنف " أ "، جامعة مـــولود معمري تيـــــزي وزو..... مشرفا و مقررا
د/ نـــورة بعيو، أستاذة محاضرة صنف " أ "، جامعة مـــولود معمري تيـــــزي وزو..... عضوا ممتحنا
د/عـلي حمدوش، أستاذ محاضر صنف " ب"، جامعة مـــولود معمري تيـــــزي وزو .....عضوا ممتحنا

تاريخ المناقشة: 2012/06/13.

مقدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمان الرحيم، و الحمد لله العلي العظيم. و الصلاة و السلام على نبيّنا الكريم، و على آله و صحبه أجمعين و بعد.

أنجزت هذه الدراسة ، لغرض التقرب من شعر أبي العلاء المعري في لزومياته؛ وهي الدراسة التي تحمل عنوان " **السّجال النّقدي في الردّ على اللزوميات للمعرّي**".

أُعدت هذه الدراسة في لزوميات أبي العلاء المعري، لغرض وصف و دراسة الجدل النقدي الدائر حول قيمة هذا الديوان، و ذلك من خلال رصد موقف القدماء و المحدثين من قيمة هذا الديوان؛ الذي نعده أثرا خالدا من آثار العربية، فكما هو معلوم، فإن الدارسين القدماء و المحدثين، قد اختلفوا في أبي العلاء كاختلاف طبائعهم و أهوائهم، فلم تتفق كلمتهم في موقف أو رأي محدّد، فهذا يكفّره و هذا يبرئه. فريق يرى فيه الفيلسوف علما و عملا، و آخر يبعده من عرش الفلسفة و حكمتها، ولكن رغم هذا الاختلاف إلا أنهم اتفقوا في شاعرية أبي العلاء، و علوّ كعبه في الأدب و الفكر، فألّفوا كثيرا من الكتب و التراجم حول حياته و آثاره و فكره و أدبه، و كل ما يتعلق بأخباره. و هذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على المكانة المرموقة، التي يحظى بها المعري، بين أساطين العربية خاصة و الإنسانية عامة.

إنّ تعدّد المواقف و اختلافها في قيمة شعر أبي العلاء المعري في لزومياته، هو الباعث الأول لتوجهي إلى هذه الدراسة دون غيرها، فحاولت الإلمام بالمواقف و الآراء التي قيلت حول المعري و ديوانه، و جمعها و ترتيبها حسب ما تسمح به طبيعة البحث. كما أنني لا أستطيع إخفاء إعجابي بشعر و أدب أبي العلاء و فكره، فهو الذي صنع من أدبه و فكره نبعا صافيا، تنهل منه العقول نفائس العلم و المعرفة. كما أنّني لا أجد دراسة مستقلة، تستقصي الجدل الدائر حول موقف القدماء و المحدثين من لزوميات أبي العلاء، إلا ما جاء متناثرا متفرقا؛ كأن تهتم بعض الدراسات على عنصر من العناصر، دون الإلمام بكل الجوانب، التي كانت محطّ اهتمام النقاد القدماء و المحدثين. كما طبع هذه الدراسات طابع الشمولية في آراء أبي العلاء المتفرقة، التي قيلت في كثير من آثاره الشعرية و النثرية، دون الاهتمام و الاعتماد على اللزوميات في حدّ ذاتها.

كل هذا دفعني إلى اتخاذ لزوميات أبي العلاء المعري موضوعا للدراسة و البحث و التقصي، مع الاعتماد على المواقف التي أفرزتها عقول المتقدمين و المتأخرين، حول قيمة هذا الديوان الفريد من نوعه، و استعراضها و محاولة تحليل و نقد بعضها، و الاقتراب أكثر من آراء المتقدمين و المتأخرين، و محاولة رصد الجدل الذي كان موضوعه النص الشعري في اللزوميات. و قد استعنت بما تتيحه لنا نصوص اللزوميات من جهة، و بعض آراء أبي العلاء في آثاره الأخرى كزجر النابح – المتعلق بلزوم ما لا يلزم – مثلا من جهة أخرى.

و أنا لا أدعي– في دراستي هذه – الكمال، و لا أدعي أنني ابتكرت شيئا جديدا يضاف إلى الدراسات الأدبية و النقدية، و لكن استطاعت الدراسة أن تتوصل إلى بعض النتائج ، و أن تكشف عن بعض الحقائق المتعلقة بحياة أبي العلاء و آرائه في لزومياته، من خلال الدراسة المتأنية لشعر أبي العلاء في لزومياته، و محاولة تحليل و فهم معاني أبيات أبي العلاء الشعرية، و الاطلاع المتأني لمختلف المصادر و المراجع التي اهتمت بدراسة أبي العلاء و آثاره الفكرية و الأدبية.

اعتمدت في مقاربتي هذه على الطريقة الوصفية، و هي الطريقة – حسب اعتقادي – المُثلى لمثل هذه المقاربات، لأن طبيعة هذه الدراسة تقتضي فهم و استوعاب النصوص الشعرية فهما دقيقا و جيدا، بعد استعراض المواقف و الآراء و محاولة فهمها و نقدها، و لما لا تصويبها بين الفينة و الأخرى.

نظرا لطبيعة موضوع البحث، اقتضت الضرورة بأن تأتي الدراسة في مقدمة و تمهيد، و ثلاثة فصول و خاتمة.

في **التمهيد**: تحدثت فيه عن أبي العلاء المعري الشاعر، الذي شغل الدنيا بأدبه و فكره، فاختلف فيه المتقدمون و المتخلفون.

أولا: الفصل الأول؛ هاجس العزلة و اللزوميات. و قسمت هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: هاجس العزلة عند أبي العلاء؛ و فيه حاولت الاقتراب من فلسفة أبي العلاء، في العزلة من خلال دراسة نصوصه في اللزوميات.

المبحث الثاني: ديوان لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء: و هو مبحث يختص بدراسة اللزوميات، و ما يتصل بالمرحلة الأخيرة من حياة أبي العلاء.

ثانيا: الفصل الثاني؛ جدل القدماء حول لزوميات أبي العلاء المعري؛ و قسمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جدل القدماء حول مكانة أبي العلاء الأدبية من خلال اللزوميات.

المبحث الثاني: أطلقت عليه العنوان التالي: **جدل القدماء حول معتقد أبي العلاء من خلال اللزوميات؛** و هو المبحث الذي ينقسم بدوره إلى ثلاثة عناصر:

- **موقف الفريق الأول: المعري كافر زنديق.**
- **موقف الفريق الثاني: المعري مؤمن تقي.**
- **موقف الفريق الثالث (بين بين): المعري حائر متردد.**

المبحث الثالث: إيمان أبي العلاء من خلال اللزوميات؛ و ينقسم بدوره إلى أربعة عناصر:

- **الإيمان بالله و عظمته.**
- **الإيمان بالملائكة و الجن.**
- **الإيمان بالكتب و الرسل.**
- **الإيمان بالبعث و النشور.**

ثالثا: الفصل الثالث؛ جدل المحدثين حول لزوميات أبي العلاء المعري؛ و قسمته أيضا إلى مبحثين رئيسيين:

المبحث الأول: جدل المحدثين حول مكانة أبي العلاء الأدبية من خلال اللزوميات.

المبحث الثاني: جدل المحدثين حول مكانة أبي العلاء الفكرية من خلال اللزوميات ؛ و هو المبحث الذي ينقسم بدوره إلى ثلاثة عناصر:

- **موقف الفريق الأول: المعري فيلسوفا.**
- **موقف الفريق الثاني: المعري شاعرا.**
- **موقف الفريق الثالث: المعري فيلسوف الشعراء و شاعر الفلاسفة.**

و أخيرا **الخاتمة**؛ أين سجلت النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، و التي حاولت من خلالها تسليط الضوء على لزوميات أبي العلاء، و محاولة قراءة نص المعري الشعري، قراءة متأنية، قصد إماطة اللثام عن بعض القضايا، التي اتصلت رأسا بأبي العلاء و لزومياته.

و قد اعتمدت على بعض المصادر التي ترجمت لأبي العلاء، وأذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: معجم الأدباء لياقوت الحموي الرومي، و كتاب الوافي بالوفيات للصفدي، و انباه الرواة للقفطي، و سفر نامه للرحالة الفارسي ناصر خسرو علوى، و كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء؛ و هو الكتاب الذي شارك في تأليفه جماعة من الدارسين تحت إشراف الدكتور طه حسين، و مصادر أخرى لا يتسع المقام لذكرها هاهنا.

كما اعتمدت على بعض المراجع التي اتخذت أبا العلاء و أدبه موضوعا لدراستها؛ و هي دراسات أثبتت نجاعتها، و استطاعت أن تضيء درب الباحث المهتم بأبي العلاء و أدبه و فكره، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب تجديد ذكرى أبي العلاء للدكتور طه حسين، و كتاب مع أبي العلاء في سجنه للدكتور طه حسين، و كتاب المعري و دفاع المؤرخ ابن العديم عنه للدكتور سامي الكيالي، و كتاب أبو العلاء و لزومياته للدكتور كمال اليازجي، و كتاب حكيم المعرة للدكتور عمر فروخ، و كتاب مع أبي العلاء في رحلة حياته للدكتورة عائشة عبد الرحمان(بنت الشاطئ)، و كتاب الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري و عمر الخيام للدكتورة تغريد زعيميّان.

و هي مصادر و مراجع ساعدتني على ولوج عالم المعري، و أخذت بيدي في متاهات هذا الأديب الشاعر الفيلسوف؛ فكانت عونا لي في رحلة البحث، و كانت النواة التي غذّت هذه الدراسة، و أمدتها بأسباب الاكتمال لا الكمال.

و من بين الصعوبات التي واجهتني في رحلة بحثي أذكر ما يلي:

- افتقار مكتباتنا الجامعية للكتب التي يحتاج إليها البحث، و هذا ما دفعني إلى التنقل عبر جامعات ولايات الوطن، باحثا عما يشفي غليل هذه الدراسة.
- قلة الدراسات المتخصصة، التي تهتم بآراء و مواقف القدماء و المحدثين من لزوميات أبي العلاء المعري، إن لم تكن منعدمة، و إن كانت موجودة، فهي لم تختص بدراسة شعر أبي

العلاء في لزومياته، و إنّما كانت دراسات شمولية، لأنها دراسات عامة، تستقي نتائج بحثها من الزخم الهائل لآثار أبي العلاء المختلفة.

- تعدد الآراء و المواقف التي قال بها القدماء و المحدثون، حول لزوميات أبي العلاء المعري، و هذا ما تطلب منّي، إنفاق وقت غير يسير في دراسة هذه الآراء، و غربلتها و تنظيمها، و من ثمّ إنزالها منزلتها اللائقة بها.

و كل ما آمله من وراء هذه الدراسة ، أنني وفّقت فيها إلى حدّ ما، و أملي لكبير، من أنني استطعت أن أعرض آراء الدارسين القدماء و المحدثين، عرضا صحيحا، أما إذا لم أعط البحث حقه، فحسبي أني حاولت و اجتهدت، قدر ما أوتيت من حول و قوة، و إذا أخطأتُ فمن نفسي و من الشيطان، و الله المستعان.

تمهيد

أبو العلاء المعري، و جوانب من شخصيته:

عرفت الساحة الأدبية العربية عبر عصورها المختلفة، أدباء و شعراء شغلوا الدنيا بما تجود به قرائحهم من أعمال أدبية خالدة، و ما تفرزه تجاربهم عبر مسيرة حياتهم، الحافلة بالعناء و المشقة بكل ألوانها و أنواعها. و نحن هاهنا؛ نحاول تسليط الضوء على شاعر عبّاسي، عادة ما تطلق عليه ألقابا مختلفة ، فتارة يقال عنه، بأنه الشاعر الأديب، وتارة يوصف بالمفكر الفيلسوف، كما يوصف بأنّه شاعر الفلاسفة و فيلسوف الشعراء في آن واحد. إنه شاعر العربية الفريد من نوعه، المعروف بأبي العلاء المعري[1].

كان أبو العلاء المعري شاعرا فذا، و فنانا عارفا بروائع الشعر، و واسع الخيال فيّاض المعاني، و خبيرا بأسرار الجمال و مواطن الجلال. فالمتصفح لصفحات ديوانه اللزوميات، يزيد اقتناعا و اعترافا بتلك المزايا الراقية، التي صنعت من أبي العلاء المعري، شاعرا كبيرا، إذ تربّع على عرش الصّناعة الشعرية، الشامخ في سماء الفن و الإبداع.

ثم إنّ الحديث عن شخصية رجل كأبي العلاء، ليس بالأمر الهيّن السّهل، لأن أي باحث يريد دراسة ما يتعلق بعلَم من أعلام العربية، يجد نفسه متردّدا، مخافة أن يقع فيما لا تستحسنه الآذان، و خوفا منه أيضا، على عدم إعطاء المترجم له حق قدره. أليس هو القائل محذرا:

لا تظلموا الموتى و إن طال المدى إنّي أخافُ عليكم أن تلتقوا[2]

لقد تفرعت مزايا جوانب شخصية أبي العلاء المعري، بين الجرأة و الأنفة، و بين القوة و الصمود، فكان – رحمه الله – " جريئا في إعلان آرائه في اللزوميات على الأخص، إلى درجة الإهانة لبعض الناس و التهكم ببعض المعتقدات؛ و لكنه كان في كل ذلك جادا لا هازلا...، كما كان أنوفا عزيز

([1]) - هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المكنّى بأبي العلاء المعري نسبة إلى البلدة التي ولد فيها و ترعرع بين أحضانها، حتى وافاه القدر، و هي بلدة معرة النعمان. (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 2000م، ط 01، ج 07 ، ص 62).

- و معرة النعمان: بلدة صغيرة بالشام بالقرب من حماة و شيزر، وهي منسوبة إلى النعمان بن بشير الأنصاري، رضي الله عنه، فإنه تديرها، فنسبت إليه، و أخذها الفرنج من المسلمين في محرم، سنة اثنين و تسعين و أربعمائة، و لم تزل بأيدي الفرنج من يومئذ إلى أن فتحها عماد الدين زنكي بن آق سنقر...،سنة تسع و عشرين و خمسمائة، و منّ على أهلها بأملاكهم.
- (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، د ط، ج 01، ص: 116).

([2])- أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، شرح:د. كمال اليازجي، دار الجيل، بيروت، 1992، ط 01، ج 02، ص: 86.

النفس صلب الإرادة، لم يحتمل ملاحظة تمسّ به ولا قَبِلَ عطية من أحد (سوى ما نال على قصائده الأولى) ...، و كان لا يخضع لما يخضع الناس له عادة، من طريق الدين أو المجتمع أو الدولة."[1]

كما كان رحمه الله قصير القامة، نحيف الجسم، مشوّه الوجه بآثار الجدري[2]. و قد " حكى أبو محمد عبد الله بن الوليد بن غريب الأيادي، أنّه دخل على أبي العلاء، و هو صبيٌ مع عمه أبي طاهر يزوره، فوجده قاعدا على سجادة من لبْد، و هو شيخ. قال: فدعا لي و مسح على راسي، و كأنّي أنظر إليه الساعة، و إلى عينيه؛ إحداهما نادرة، و الأخرى غائرة جدا، و هو مجدر الوجه، نحيف الجسم" [3].

فرغم كل هذه الصفات الجسمية الهشة، و الآفات المرضية القاهرة التي تنخر الجسم، و تزرع فيه الأسى القاتل المدمر، إلا أن أبا العلاء المعري نفض غبار الأسى، و مسح عن نفسه آثار الخمول و الاستسلام للرزايا، فعاهة العمى لم تصرفه عن طلب العلم أينما كان، و كانت رغبته الجامحة أقوى من أثقال المصائب التي لحقت به، فتراه ينطلق إلى آفاق أرحب؛ و هذا ما صنع منه رجلا ذو شخصية فذة طموحة، إذ رحل إلى بغداد سنة تسع و تسعين و ثلاثمائة للهجرة[4]، طلبا لنور العلم و الاستكثار من فنونه الجمّة.

كما توصف شخصية أبي العلاء المعري – بلغة علم النفس– بأنها شخصية " انطوائية، و الشخصية الانطوائية حسب التفسير النفسي تتميز بالصفات التالية: انفعالية، شديدة التأثر و التهيج، لا اجتماعية، قليلة الثبات و الاستقرار، مما يؤدي إلى تغيرات فجائية في الحالة المزاجية، و لكن بالرغم من كل هذه التقلبات، فهي شخصية سوداوية المزاج، ميالة دائما إلى الحذر و الشّك و التشاؤم "[5]. بالمقابل اجتمعت في شخص أبي العلاء صفات و أخلاق، قلما نجدها مجتمعة في

([1])- عمر فروخ، حكيم المعرة، دار لبنان للطباعة و النشر، بيروت – لبنان، 1978، د ط، ص: 37.
([2])- أحمد تيمور باشا، أبو العلاء المعري نسبه و أخباره، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، 1940 م، د ط، ص: 14.
([3])- الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، انباه الرواة على انباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة / مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1986، ج 01، ص: 86.
([4])- المصدر السابق، ج01، ص 86.
([5]) - كامل حمود، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية، دار الفكر اللبناني – بيروت، 1990، ط 01، ص: 148.

رجل واحد، فكان الوعاء الذي استوعب مكارم الأخلاق، و كان صادقا أبيا، عزيز النفس، مترفعا عن الرذائل و المدنسات، متقربا من المقدسات و الأخلاق الحميدة، و خير شاهد نسوقه هاهنا قوله:

ولا تكن زيرا للنساء، و إن تملْ لهن، فلا تأذن لزير و لا صنج

و لا تدن للصهباء بنتا لأبيض ولا تقرب الحمراء من ولد الزنج[1]

إنّه الرجل الذي صمّم على أن يتحدى محنته، و أن يشق سبيله إلى حيث يريد، لا يعوقه فقد البصر لفرط طموحه، و اعتداده بمواهبه و هو يلقانا في تلك المرحلة. هكذا يبدو أبو العلاء الفتى، و كأنّ الدنيا لا تتسع له، من شبابه مشغولا بخصوم له لا نعرفهم، و أغلب الظن أن يكون من بين شباب حلب الطامحين، من أبناء جيله، مَن ضاقوا بما استأثر به هذا الضرير من نباهة و شهرة[2].

كان المعري من كبار جهابذة العلم و الأدب، الّذين شغلوا الدنيا عبر العصور، فمن أهم خصال شعر و أدب المعري؛ الاشتمال على الأمثال و الحكم، و خصوبة الخيال. إذ كان على علم تام بأحوال عصره، و أحوال عصور أمم خلت من قبل، فتراه يخوض في مواضيع جمة، و يتحدث عن التاريخ و حوادثه، و رجال العرب الذين اشتهروا. " و اللزوميات في الحقيقة، دائرة معارف موجزة في النحو و الأدب و التاريخ، و أيام العرب و أخبار الأقدمين، و في علوم القرآن و الحديث و الفقه، و سائر علوم العربية، و في كثير من علم الطبيعة و الفلسفة. و لا ريب في أنّ المعري أحاط بكل ذلك، و فهمَهُ على الوجه الذي كان شائعا يومذاك"[3]. أليس هو القائل في لزومياته:

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن إلا وعندي من أخبارهم طرف[4]

و هو القائل أيضا:

لعمرك ما غادرتُ مطلع هضبة من الفكر إلا و ارتقيتُ هضابها[5]

إنه العالم، الجامع لخصال العلماء على أحسن وجه، و انسجام متناه في الدقة و التمكن. أخذ من الشعر خلاصته و زبدته، و من الفلسفة صفوتها و حكمتها، و من العلوم اللغوية على اختلافها و

([1]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص 218.
([2]) - عائشة عبد الرحمن، مع أبي العلاء في رحلته و حياته، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1972، ط 01، ص: 56 – 59.
([3]) - عمر فروخ، حكيم المعرة، ص: 54.
([4]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 02، ص: 49.
([5])- أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص: 102.

تنوّعها، عذوبتها و أساليبها التعبيرية، كما أخذ منها ما لم يجتمع لأحد غيره من العلماء و الأدباء، عبر حقب الحضارة الإسلامية. " و قد سما المعري في الشعر و الأدب، إلى حدّ أنّ أفاضل الشام و المغرب و العراق، يُقرّون بأنّه لم يكن من يُدانيه"[1].

لم يأت عالم من علماء اللغة منذ تدوينها، بمثل ما أتى به أبو العلاء، فقد أحاط باللغة العربية إحاطة تامة، و استعمل تقريبا كل ألفاظها في شعره و نثره و أبدع فيهما، أيما إبداع. إذ " كان حسن الشعر، جزل الكلام، فصيح اللسان، غزير الأدب، عالما باللغة، حافظا لها "[2]. كما اجتمع في أبي العلاء ما لم يجتمع عند كبار العلماء من إتقان العلم و سعة الثقافة، و عمق المعرفة و غزارة الفكر و حدة الذكاء. إنه الرجل الذي رزق من شدة الذكاء و قوة الحافظة، و هي الصفات التي كانت عونا له على بلوغ الغاية من تحصيل المعارف، و إبداع المنظوم و المنثور، و روائع الفكر و الفلسفة. لقد كانت تلك الحافظة الواعية ، و ذلك الذكاء الخارق، و تلك الرغبة الجامحة في جمع المعارف و تحصيل العلوم و السعي إليها، هي أدوات أبي العلاء المعري في بلوغ تلك المنزلة العليا من الثقافة، و الدرجة الرفيعة من العلم [3].

لفت أبو العلاء المعري اهتمام معاصريه و انتباه من جاء بعده من الدارسين و الباحثين، فكانت لزومياته موضوع جدل و سجال نقدي واسع النطاق، و أصبح المعري بذلك ظاهرة امتد تأثيرها لتمس جوانب ثقافية عديدة؛ لا تقتصر على الشعر و الأدب فحسب، بل راحت تشمل الفكر و الفلسفة أيضا.

([1]) - ناصر خسرو علوى، سفر نامة، ترجمة: د. يحيى الخشاب،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ط 02، ص: 56.

([2]) - القفطي، انباه الرواة على انباه النحاة، ج 01، ص: 82.

([3])- صلاح رزق، نثر أبي العلاء المعري – دراسة فنية - دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2006، د ط، ص: 30 و ما بعدها.

الفصل الأول

هــاجس العزلة و اللّزوميات

الفصل الأوّل: هاجس العزلة و اللّزوميات:

المبحث الأول: هاجس العزلة عند أبي العلاء المـعري.

المبحث الثاني: ديوان لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري.

المبحث الأول:

هاجس العزلة عند أبي العلاء المعري:

فضّل أبو العلاء المعري سجن العزلة،على أن يختلط بأناس فقدوا – على حد اعتقاده – كل المعاني الإنسانية الراقية. فحينما رحل إلى بغداد[1] و كانت ملتقى الأمم، و سمع ما سمع ازداد مقته للناس و سخطه عليهم، بقدر ما ازداد علمه بهم، و اطلاعه على ما تكنه صدورهم الخبيئة الخبيثة، من أخلاق لا تتفق مع شيمه و معرفته. و أصبح لا يرى في الوجود إلا الشّر و السوء، كما أصبح ذو طبع سوداوي تتقاذفه أيادي التشاؤم و الحسرة يمينا و شمالا، و قلبه ممزّق بالحزن و الألم، لما لحق بلاده و أهلها من فساد، و فقر وانحلال خلُقي[2]، وهو الذي يقول في درعية له محذرا من غدر الغادرين:

بنو الوقت إن غرّوك منهم بحكمة، فما خلفـــها إلاّ غرائز جهـــال

لذاك سجنتُ النفس حتى أرحتـــها من الإنس ما أخلاه ربع بإخـلال

إذا ما حللت الجدب فردا بـــلا أذى فسقيا له من روضة غير محلال[3]

فهو يفضل السّجن عن الحرية، و الانقطاع عن الوصل، و كان يحمل لقب رهين المحبسين؛ و هو اللّقب الذي لقّب به نفسه ، و قد كان هذا اللقب وليد مرحلة حاسمة من مراحل أبى العلاء المعري؛ و هي مرحلة العزلة من حياته، و ما خيّم على هذه المرحلة من فلسفة و طريقة معينة في

([1]) - فبعد أن تلقى المعري ما شاء الله من العلوم اللغوية و العلوم الأخرى،عزم على الرحيل غاية تحصيل ما جهله من علوم، ففي سنة اثنين و تسعين و ثلاثمائة **(392 هـ)** للهجرة، غادر المعرة إلى بلاد الشام، فزار مكتبة طرابلس، و مرّ على اللاذقية، و كان بها دير للرهبان فنزل به و أقام بين أهله، حتى درس العهدين القديم و الجديد. و بعد أن طوف في بلاد الشام عزم الرحلة إلى بغداد مبعث العلم و مستقر العلماء ليدرس الحكمة اليونانية و الفلسفة الهندية.
- (أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع و النشر، الفجالة – القاهرة، د ت، د ط ، ص: 306 – 307).

([2]) - وكان لفئة الرقيق و الجواري أن تتضاعف في المجتمع العربي كلما انحط الضمير الإنساني، و نشط الوحش في الإنسان، و استشرى الطمع في الترف و البذخ و الجاه و الاستغلال، و جف بريق العدل و الإنسانية، و ظهرت شريعة الغاب، إنها وصمة عار طالت الحضارة العربية الإسلامية، حيث يفقد الإنسان معناه الإنساني، و يقترب شيئا فشيئا من الحيوانية العمياء، و إذا هو مجرد أداة أو سلعة حقيرة متداولة بين الناس.
- (كاظم حُطيط، أعلام و رواد في الأدب العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2003، ج 01، ط 01، ص: 39).

([3]) - أبو العلاء المعري، سقط الزند، شرح: د. أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1990، ط 01، ص: 347.

التفكير، إذ لزم بيته و سمّى نفسه : رهين المحبسيْن، و رهين المحبسيْن يعني؛ حبس نفسه في المنزل، و حبس بصره بالعمى[1]. و لكنّنا نراه يضيف سجنا ثالثا إلى السّجنين، حين يقول:

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيـــــث

لفقدي ناظري و لزوم بيتـــي و كون النفس في الجسد الخبيث[2]

بالإضافة إلى سجن العمى، الذي صرف عنه رؤية ما يحيط به، وحبس نفسه في بيته. نلمس سجنا ثالثا يضيفه؛ ألا وهو جسده الخبيث، الذي حبس روحه وراء قضبان جدرانه.

هذه – حسب ما نعتقد – هي بداية المصيبة، وأوائل الطامة الكبــرى، حيث انطبعت نفسه بهذه الصفات السوداوية الحزينة الكئيبة، فثار أوّلاً على اسمه وكنيته، ورأى أن الصحيح أنهما مشتقان من الذم والهبوط، لا من الحمد والعلو، وهو الذي يقول في هذا الشأن:

و أحمد سمّاني كبيري، وقلّما فعلتُ سوى ما أستحق به الذّما[3]

فالمعري هنا، ينفر من اسمه (أحمد)، و كان يرى أنه من النفاق و الكذب، أن يشتق اسمه من الحمد، و الأصح و الأجدر أن يشتقَ من الذّم.

و أما كنيته فقد كُني بأبي العلاء المعري ، فمن عادة الآباء في ذلك العصر أن يكنّوا أبناءهم، و قد جرى في ذلك على عادة أهل بلده، إذ قلما وجد مولود جديد في ذلك العهد إلا و له كنية، و الظاهر أنهم كانوا يكنون أولادهم منذ الحداثة [4]. و في الكنية التي أطلقت عليه يقدّم أبو العلاء رأيه ثائرا مستنكرا:

دُعيت أبا العلاء، وذاك مين ولكن الصحيح أبو النزول[5] .

فهو يرفض أن يكون في العلى، و يصرّح بأن ذلك كذب و نفاق ، و ينبغي أن يدعى أبا النزول لا أبا العلاء ، لأنه يرى من العدل و الإنصاف أن يضاف إلى السقوط و الهبوط، لا إلى الصعود و الارتقاء.

([1]) - الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 07 ، ص: 65.
([2]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص: 204.
([3]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ص: 307.
([4])- أبو العلاء المعري، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (معجز أحمد)، تحقيق: د. عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، 1992، ج 01، ط 02، ص: 99 – 100.
([5]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج02 ، ص: 236 .

إضافة إلى ما مني به بعد ذلك من إيثار العزلة والانطواء على النفس، وعدم مخالطة الناس ومعاشرتهم ومجاملتهم. و الإنسان – كما نعلم جميعا– كائن اجتماعي بالطبع يألف ويؤلف، ولا يستطيع العيش المرفه ذا الدعة والسرور، إلا بين أبناء بني جلدته. و لكن رغم ثقل الصدمة – صدمة آفة العمى – إلاّ أنّ أبا العلاء يحمد الله على العمى، كما يحمده غيره من البشر على نعمة البصر و النور، فها هو يقول حامدا شكورا: " **أنا أحمد الله على العمى، كما يحمده غيري على البصر** "[1].

ولكننا نراه في مواضع أخرى، يقول ما هو عكس ذلك، أين نلمس انشغاله العميق، بآلامه و معاناته، و مظاهر فقدان بصره و حسرته على مرّ سني عمره هباءً و شقاءً، و لاسيما أيام الشباب، إذ تتجلى شدة وقعها من خلال زفرات محرقة، فهو يقول متألما:

عمى العين يتلوه عمى الدين و الدجى فليلتي القصرى ثلاث ليالي
وما أزمت نفسي البنان على التي إذا أزمتْ عضّت بشوك سيال
و لا قصرت لي أم ليلى بشربها حنادس أوقات عليّ طيال
إذا ما اجتمعنا هاجت الحزن ألفة محدثة عن جمعنا بزيال
لحا الله غارات السنين فإنها مبدلة ظلمانها برئال
وما سرني رب الخيال بشخصه فيطلب منه النوم طيف خيال
و هوّن أرزاء الحوادث أنني وحيد أعانيها بغير عيال
فدعني و أهوالا أمارس ضنكها و إياك عني لا تقف بحيالي[2]

كما يقول أيضا متسائلا في حرقة العذاب:

ربّ متي أرحل عن هذه الدنيا فإنّي قد أطلت المقام
لم أدر ما نجمي و لكنه في النحس مذ كان جرى و استقام
فلا صديق يترجى يدي و لا عدو يتخشى انتقام

([1]) - أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح و تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1983م، ط01، ج 05، ص:16.
- و ينظر أيضا: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج07، ص:64.

([2]) – أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم،ج 02، ص: 212 وما بعدها.

و الترب مثواي و مثواهـــم وما رأينا أحدا مـــــــــنه قـــــام[1]

لقد اضطرب كل شيء في نظره، اضطربت مقاييس الحياة، و اختل النظام، و لم يعد ينظر إلى الحياة، إلاّ هذه النظرة السوداء البغيضة، التي تنطوي فيها خيوط فلسفته التشاؤمية[2]. كيف لا، وقد عاش أبو العلاء في عصر، كانت تميِّزه رائحة الانقسامات النتنة بين دويلات الدولة الإسلامية، وقد " شهد أبو العلاء هذا الصراع بين أحفاد الحمدانيين أو غلمانهم و المتغلبين من أعراب الشام و على رأسهم صالح بن مرداس، ثم بين المرداسيين و الفاطميين، و أخيرا بين المرداسيين و غلمانهم الذين ثارت في نفوسهم شهوة الحكم أيضا"[3]. فاضطربت في عصر أبي العلاء، الأحوال السياسية و الاجتماعية، و ظهرت في أرجاء العالم الإسلامي، حركات و ثورات ما تكاد تنهض إحداها حتى تخرّ صرعى تحت وطأة حركة أقوى [4].

و مردّ هذا الاهتزاز السياسي – على حدّ تعبير الدكتور إبراهيم العاتي – و الاضطراب و عدم الاستقرار؛ الصراعات الدامية بين أفراد العائلة العباسية الحاكمة، و تأثير العناصر الأجنبية[5] التي كانت تشكل غالبية الجيش، مستغلة موقعها الحساس هذا، في إذكاء نار الفتنة. ثم إن هذه العناصر الأجنبية، هي التي تختار من يعتلي سدة الحكم، يضاف إلى هذا اضطراب البنية الاقتصادية و الاجتماعية و تخلخلها [6].

([1]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 02، ص: 375 وما بعدها.

([2]) - سامي الكيالي، أبو العلاء المعري دفاع المؤرخ ابن العديم عنه، دار سعد مصر للطباعة و النشر، 1945م، د ط ، ص: 181.

([3]) - سامي الكيالي، الاضطراب السياسي في عصر أبي العلاء، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري ، مجموعة من الأساتذة، دار صادر بيروت – لبنان، 1994م، ط 02، ص:183.

([4])-أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تحقيق:محمد عزت نصر الله، المكتبة الثقافية، بيروت – لبنان،1968م، د ط ، ص: 05.

([5]) - إذ سرعان ما قبض الأتراك على زمام الحكم، و المعتصم هو الذي هيأ لهم ذلك، لا بجعلهم جند الخلافة العباسية فحسب، بل أيضا باتخاذه لهم مدينة خاصة و جعلها عاصمة الدولة، فأتاح لهم الفرصة كي يُخلّي بينهم و بين الخلفاء، فيصبحوا مسخَّرين بأيديهم يصرفونهم كما يشاءون...، و فتح المعتصم الباب لقوّاد الترك كي يمسكوا بزمام الشؤون الإدارية بجانب ما أمسكوا به من زمام الشؤون العسكرية.

- (شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الثاني - دار المعارف، القاهرة، 2001م، ط 12، ص: 11).

([6])- إبراهيم العاتي، الزمان في الفكر الإسلامي، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت – لبنان، 1993م، ط 01، ص: 15.

كيف لا يفضّل شاعرنا المعري العزلة، في عصر اضطر أناسه إلى أكل الكلاب و الميتات، و إلى أن يتخذ بعضهم بعضا طعاما، و إلى أن يضعوا في الدروب و الحارات، الشباك و الأشراك يتصيدون بها الأطفال و الضعفاء، ليجعلوا منها شواءً يأكلونه [1].

لقد " كان مستهل القرن الخامس للهجرة نقطة تحول في حياة أبي العلاء. فقد آثر بعد وصوله إلى المعرة، الانكماش عن الناس، و الاكتفاء باليسير من الطعام، و ارتداء الخشن من الثياب "[2]. ففي رسالة بعث بها إلى خاله أبي القاسم، يُبيِّنُ فيها المعري ميله الشديد إلى العزلة، إذ يقول: " أنّه وحشي الغريزة إنسِيَ الولادة "[3]، فالمتمعن في قول المعري هذا، يستشف و يستنتج وجود هاجس العزلة في طبعه، و إن لم يظهر في مراحل حياته الأولى على نحو جلي و واضح.

انه القائل في لزومياته:

في الوحدة الراحة العُظمى فأحْي بها قلبا، و في الكون بين الناس أثقال[4]

و هو القائل أيضا:

تخيّر، فإما وحدة مثل ميتـــة و إما جليس في الحياة، منافـق[5]

" و قد دفعته إلى هذه العزلة أسباب كثيرة، أوّلها هذه الغريزة التي ذكرها و دل عليها شعره، و نثره، و منها ذهاب بصره، فانه حين فقد عينيه جهل كثيرا من آداب الناس في حفلاتهم و مواضعاتهم في أنديتهم و مجالسهم، و هو... شديد الحياء، عزيز النفس، فكان يكره أن يُخطئ ما ألف الناس فيكون منهم مكان السخرية و الاستهزاء، أو مكان العفو و المغفرة أو مكان الشفقة عليه و الرثاء، فآثر أن يتجنب عشرتهم ما استطاع، ثم كان فقده أباه و أمّه و شدة فقره و سوء معاملة الناس له، فقوّى ذلك كله في نفسه هذا الميل "[6]. لكن يبدو أن المعري لم يظفر بالعزلة التي كان يتمناها، فلم يتركه الطلبة يتنعم بجحيم سجونه الثلاثة[7]، " فلم تكن ميسورةً كما شاء أبو العلاء، فالتفّ حوله الطلاب و

([1]) - طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء المعري، دار المعارف بمصر، القاهرة، د ت، ط 07 ، ص: 67.

([2]) - كمال اليازجي، أبو العلاء و لزومياته، دار الجيل، بيروت، 1997م، ط 02، ص 47.

([3]) - أبو العلاء المعري، رسائل أبي العلاء المعري، ، طبعه في المطبعة المدرسية في مدينة أوكسفورد هورس هارت مدير المطبعة، (الرسالة السابعة)، د ت، د ط، ص: 29.

([4]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 02، ص: 157.

([5])- المصدر السابق، ج 02، ص: 77.

([6])- طه حسين، أبو العلاء المعري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983، ط 02، ص: 52 - 53.

([7]) - و هو القائل بسجونه الثلاثة:

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيـــث =

و اشتغل بالتعليم و التأليف، فما باختياره كان يلقى زواره، فاقتحموا عليه عزلته فشغلوه و شغلوا به على كره منه "[1].

و هو الذي يقول في لزومياته:

يزورني القوم هذا أرضه يمــن من البلاد و هذا داره الطبسُ[2]

لقد كانت نيّة المعري إذن، إعتزال الناس و الابتعاد عن مجالسة أيٍّ كان من بني جنسه، إلا أن الناس لم يعتزلوه، و لم تلبث عزلته أن تحوّلت إلى انفتاح، كما تحولت أيضا إلى أنشط مظاهر الحياة و الحركة[3].

ثم إنّ المعري لم يخرج من سجن عزلته، إلاّ مرة واحدة لم تتكرر[4]. و سبب خروجه من عزلته؛ أنّ امرأة صاحت بجامع المعرة تطلب ثأرها من صاحب حانة أراد اغتصابها، فثار القوم، فهدموا الحانة عن آخرها، و أخذوا خشبها و نهبوه. وكان أسد الدولة صالح بن مرداس[5] في نواحي صيدا. و كان ذلك سنة ثمان عشرة و أربعمائة للهجرة (418هـ)، فأمر باعتقال مشايخ المعرة و أماثلها، فاعتُقِل سبعون رجلا في محبس الحصن، إقامة للهيبة. اثر هذا المصاب الجلل الذي لحق ببني المعرة، دخل جماعة إلى الشيخ أبي العلاء المعري، و قالوا له: " إن الأمر قد عظم، و ليس له غيرك". فسار إلى حلب ليشفع فيهم، فدخل بين يدي صالح طالبا منه العفو و الرحمة. و في ذلك يقول:

و لما مضى العمر إلا الأقــل و حان لروحي فراق الجسـد

بُعِثت رسولا إلى صالـــــح و ذاك من القوم رأيٌ فسَـــد

فيسمع مني هديل الحمـــام و أسمع منه زئير الأســـد

= لفقدي ناظري و لزوم بيتــي و كون النفس في الجسد الخبيث

- (أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج01، ص: 204).

([1]) - جعفر خرپياني، أبو العلاء المعري رهين المحبسين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1990م، ط 01، ص : 51.

([2]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص: 550.

([3]) - كمال اليازجي، أبو العلاء و لزومياته، ص 49.

([4]) - عائشة عبد الرحمان (بنت الشاطئ)، مع أبي العلاء في رحلة حياته، ص: 175.

([5]) - هو أسد الدولة أبو علي صالح بن مرداس الكِلابي، أول ملوك بني مرداس بحلب، كان من عرب البادية، و كانت له عشيرة و شوكة، فقصد مدينة حلب و انتزعها من مرتضى الدولة بن لؤلؤ، نائب الظاهر بن الحاكم الفاطمي خليفة مصر، و تملكها سنة 417 للهجرة. ثم جهّز الظاهرُ الجيوشَ، و وجهها إليه، فقتل صالح بن مرداس سنة 420 للهجرة، و قيل سنة 419 للهجرة. (أحمد تيمور باشا، أبو العلاء المعري – نسبه و أخباره – ، ص: 91).

فلا يعجبني هذا النـفـــــاق فكم محنة نفّـقت ما كســـد[1]

والذي يهمّنا هنا، هو مرحلة التفكير بالعزلة وقرارها؛ و هي مرحلة غير شفافة تحتاج إلى وقفة متأنية، فالعزلة أهم سمة في هذه المرحلة لما تشكل من تحول خطير في مسار حياته، و خاصة ما طبع لزومياته جراء هذه العزلة، وقد اتخذ قرار العزلة وهو في بغداد ، ويظهر ذلك من خلال رسالة كتبها إلى علوي ، إذ يقول : " وقد كنتُ عرفته بالعراق وما عزمت عليه من انفراد ، يحجز عن المراد ، ووجدتُ الوالدة رحمها الله وقد سبق بها القدر، إلى المدر. فأتت النية بالمنية فانطويت على يأس ومجانبة للناس"[2]. ويقول أيضاً : " ولما فاتني المقام بحيث اخترتُ أجمعت على انفراد يجعلني كالظبي في الكناس . ويقطع ما بيني وبين الناس . إلا من وصلني الله به وصل الذراع باليد – والليلة بالغد "[3].

وفي رسالة له كتبها إلى أهل المعرة – ولم تصلهم – حينما كان في بغداد يخبرهم بعزمه وإصراره على العزلة ويلتمس منهم أن لا يحتفلوا بلقائه – ولا بد من أن نورد الرسالة كاملة لأهميتها – إذ يقول فيها[4]: "بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب إلى السكن المقيم بالمعرة ، شملهم الله بالسعادة ، من أحمد بن عبد الله بن سليمان خص به من عرفه وداناه ، سّلم الجماعة ولا أسلمها ، ولمّ شعثها ولا آلمها ، أما الآن فهذه مناجاتي إياهم منصرفي عن العراق مجتمع أهل الجدل ، وموطن بقية السلف ، بعد أن قضيت الحداثة فانقضت ، و ودعت الشبيبة فَمضتْ ، وحلبت الدهر أشطره ، وجربت خيره و شره، فوجدت أوفق ما أصنعه في أيام الحياة ، عزلة من الناس كبارح الأروى [5] من سانح النعام ، وما ألوْتُ نصيحة لنفسي ، ولا قصرتُ في اجتذاب المنفعة إلى حيزي ، فأجمعت على ذلك ، واستخرت الله فيه ، بعد جلائه على نفر يوثق بخصائلهم ، فكلهم رآه حزماً ، وعده إذا تم رشداً ، وهو أمر أسري عليه بليل ،قُضى برِّقة ، وخبّت به النعامة ، ليس بنتيج الساعة ، ولا

([1])- ابن العديم، الإنصاف و التحري، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 566 – 567. ينظر أيضا: القفطي، انباه الرواة، ج 01، ص: 88 و ما بعدها. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 07، ص: 68.

([2]) أبو العلاء المعري، رسائل أبي العلاء المعري ، (الرسالة التاسعة)، ص:35. .

([3]) - المصدر السابق ، (الرسالة السابعة)، ص: 33. ينظر أيضا: ياقوت الحموي ، معجم الأدباء، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 91. الكناس: مأوى الظبي.

([4]) - المصدر السابق، (الرسالة الثامنة)، 34 – 35 . وينظر أيضا : ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 91 – 92 .

([5]) - البارح من الصيد : ما مر من ميامنك إلى مياسرك ، وبعض العرب يتطيرون به، والأروى : الوعول ، والسانح والسانح ما مر من مياسرك إلى ميامنك ، وبعضهم يتفاءلون بذلك.

ريب الشهر والسنة ،ولكنه غذيّ الحقب المتقادمة ، وسليل الفكر الطويل . وبادرت إعلامهم ذلك مخافة أن يتفضل منهم متفضل بالنهوض إلى المنزل الجارية عادتي بسكناه ليلقاني فيه ، فيتعذر ذلك عليه ، فأكون قد جمعت بين سمجين: سوء الأدب وسوء القطيعة.و رب ملوم لا ذنب له، والمثل السائر: خلِّ امرأً وما اختار .وما أسمحت القرون [1] بالإياب حتى وعدتها أشياء ثلاثة : نبذة كنبذة فتيق النجوم[2]وانقضاباً من العالم كانقضاب القائبة من القوب[3]، وثباتاً في البلد إن حال أهله من خوف الروم – فإن أبى من يشفق علي أو يظهر الشفق إلا النفرة مع السواد كانت نفرة الأعفر[4]أو الأدماء. واحلف ما سفرت استكثر من النشب ، ولا أتكثر بلقاء الرجال ، ولكن آثرت الإقامة بدار العلم فشاهدت أنفس مكان لم يسعف الزمن بإقامتي فيه ، والجاهل مغالب القدر . فلهيت عما استأثر به الزمان . والله يجعلهم أحلاس الأوطان، لا أحلاس الخيل والرعاية ، ويسبغ عليهم النعمة سبوغ القمراء الطلقة على الظبي الغرير ، ويحسن جزاء البغداديين ، فلقد وصفوني بما لا استحق وشهدوا لي بالفضيلة على غير علم ، وعرضوا علي أموالهم عرض الجِد ، فصادفوني غير جذل بالصفات ، ولا هش إلى معروف الأقوام ، ورحلت وهم لرحلي كارهون، وحسبي الله وعليه يتوكل المتوكلون".

جنح أبو العلاء إلى الاعتزال. فالدنيا – حسب اعتقاده – فاجرة وأبناؤها على شاكلتها, وخير للمرء أن يقطع أسبابه من أسبابها. ولم يكن هذا القرار بالاعتزال قراراً مرتجلاً بل كان قرارا مروّى فيه . ويبدو ذلك في هذه الرسالة الآنفة الذكر، و التي بعث بها إلى السكن المقيم بالمعرة، قبل أن يغادر بغداد.

ويبدو أن الرغبة من أكثر العناصر حضوراً في اتخاذ قرار العزلة، وإلاَّ لِم وعد نفسه بهذا الإنتباذ وأخذ عليها هذا الأخذ ؟ ولِم عبر بـ (وعد) إذا لم يكن شيئاً رغيباً إليها ؟ وكيف غابت عنه كلمة (أوعد) وهو يرهقها بالاعتزال ؟ إن (وعد) كلمة يذهب معناها في اتجاه المرغوب به ولون دلالتها اللّذة ، و(أوعد) تذهب في عكس الاتجاه وعكس اللون ، فالمعري يشعرنا باختيارها للتعبير ، إن

([1])- القرون : النفس.

([2])- نبذة : من نبذ الشيء إذا طرحه ، والفتيق ما انبثق عن الشيء ، والنجوم مفردها نجم ، ما نجم من النبات عل غير ساق .

([3])- القائبة : البيضة . القوب : الفرخ.

([4])- الأعفر الظبي تعلو بياضه حمرة ، ونفرة الأعفر : شروده.

موقفه الجـديد ومقتضياته استحال أمنية حادة وظمأ شهوياً أو شهوة ظامئة ، وقصد الاطمئنان إلى أنه تهدّى لفكرة شاملة مطلقة ، باعدت بينه وبين الإجبار في استحواذ كبير وفي شعور حاد لذيذ[1].

من الواضح أن المعري كان رأيه في الحياة والأحياء، الكراهية و الرفض، فلم يجد أمامه إلاّ أن يعتزل الحياة ومخالطة الناس، و يبتعد عنهم ، فبعد عودته – كما أشرنا إلى ذلك سابقا – من بغداد أخبر أهل المعرَّة في رسالة مؤثرة أنه سيعتزل الناس، وقد حاول ذلك بأقصى جهدٍ مستطاع ولكنه أخفق في ذلك إلى حدٍّ ما، فمن أين لشخصٍ مثله طبقت شهرته الآفاق من شرق العالم الإسلامي إلى غربه، أنْ يعيش بمفرده.

لقد اعتزلَ الدنيا وأهلها، ولكنَّ أهلها لم يتركوه، بل جاؤوه ينهلون من علمه وأدبه وفكره، ولكنه على كل حال يبقى معتزلاً؛ لأن ما خالط الناس فيه أو لنقل ما خالطه الناس فيه للضرورة لا يُعَدُّ تصالحاً وإقبالاً على الحياة والناس، و سواء أنجح في مسعاه الاعتزالي أم أخفق فالعزلة والتوحد والانفراد هي مذهبه المفضل ورأيه الحصيف الذي لا يرضى عنه بديلاً، ولعلَّ هذا الاعتزال النوعي كان أجلى مظاهر قلق الحياة لديه، وأعلن في شعره أنه إذا كان شعار تنوخ أهل قبيلته (واصل) فشعاره هو قَاطعْ، حيث يقول:

فرّ من هذه البرية فـــي الأرض فما غير شرها لك حاصـــــــــــل

فشعاري (قاطع) و كان شعـارا لتنوخ في سالف الدهر (واصـــــل)[2]

يرى المعري أن من أراد النجاة من مصاعب الحياة، و الانفلات من قبضة يدها القاتلة، ما عليه إلا أن ينعزل و يهرب من الناس و مقاطعتهم، و يبتعد عنهم ليسلم شرهم، فلن يبلغ ذلك – حسب ما يعتقد – إلا بهجر الدنيا وأهلها. يقول أبو العلاء المعري:

فالرأي هجرانك الدنيا و ساكنها فأنت من جود هذي النفس منجود[3]

([1])-عبد الله العلايلي، المعري ذلك المجهول – رحلة في فكره و عالمه النفسي-، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت، 1981م، د ط ، ص: 21.

([2]) – أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 02، ص: 261.

([3])- المصدر السابق، ج 01، ص: 266.

ذهب أبو العلاء أبعد من هذا، إذ تراه يبالغ في طلب العزلة، حتى أرادها في الحياة و هو حي، و في الآخرة حين يبعث حيا بعد موته، فتمنى ألاَّ يشهد الحشر في الناس، إنه لا يريد رؤية الناس و معاشرتهم، حتى في يوم الحشر، حيث يقول:

فيا ليتني لا اشهد الحشر فيهم إذا بعثوا شعثا رؤوسهم غُبرا[1]

وهو لا يريد العزلة عن الناس والمجتمع في الحياة الدنيا فحسب وإنما يريدها حتى في الآخرة لا يريد أن يجتمع إلى أحد، ولا يراه هو أحد ، فطلب أن يدفن بموضع لم يُحفرْ فيه قبر لأحد، و هو الذي يقول:

إذا حان يومي فالأُوَسّد بموضع من الأرض لم يحفر به أحد قبرا[2]

و هو القائل أيضا:

وددت وفاتي في مهـــــمه به لامع لـيس بالمعـــــــــلم

أموت به واحدا مفـــــــردا و أدفن فـــي الأرض لـم تظـــلم

أحاذر أن تجعلوا مضجعـــي إلى كافر خـــان أو مســـــــــلم[3]

فهو في هذه الأبيات، يوَدّ لو أنه مات في صحراء، ليس بها إنسان لتتهيأ له هذه العزلة.كما أنه يخاطب الحيوان، ناصحا إياه بأن يطلب العزلة كما يطلبها هو، فقال مخاطباً ورقاءَ:

و انفردي في بلد عازب عنا، و عيشي ذات بال رخي[4]

فهو يرى أنّ وحدته أنساً و راحة، واجتماعه بغيره وحشة و شرّ، يقول المعري فى هذا المعنى:

إذا حضرت عندي الجماعة أوحشـــت فما وحدتي إلا صحيفة إيناســـي

طهارة مثلي في التباعد عنـــــــكم و قربكم يجني همومي و أدناسي[5]

([1])- المصدر السابق، ج 01، ص: 399.
([2])- المصدر السابق، ج 01، ص: 398.
([3])- المصدر السابق، ج 02، ص: 370.
([4])- المصدر السابق، ج01، ص: 250.
([5])- المصدر السابق، ج 01، ص: 564.

و لعل بيته المشهور حول النسل و الزواج، يثبت توقه الشديد إلى اعتناق العزلة، فهو لا يريد أن يكون أبا لأحد، لأن الأب في اعتقاده هو سبب وجود الأولاد، و هو المسؤول الأول و الأخير، في معاناتهم (أي الأولاد) في عالم تبخّر فيه كل ما هو خيِّر و جميل. يقول أبو العلاء المعري:

هذا جناه أبــي عليَّ و ما جنيتُ على أحــد[1]

و كان المعري قد أوصى على أن يكتب هذا البيت على قبره. يعكس البيت السالف، رأي أبي العلاء المعري الصارخ، الذي يرفض الزواج و ترك النسل، يتعذب من ويلات الزمان الظالم. إنها ذروة الشكية و العدمية، التي طبعت شخصية المعري في أقوى تجلياتها.

هكذا آثر المعري العزلة عن الاجتماع، و الانقطاع عن التواصل، فراحته في خلوته و زهده و تقشفه، فهو بهذا؛ المقيم و الغريب في آن واحد، و المتمرد و المنتمي، الذي حاول من وراء حجاب العزلة، تغيير الفرد و المجتمع، و مواجهة الواقع الفاسد الرهيب، و راح ينقد المجتمع و عاداته البالية الرثّة، و تصرفات أبناء هذا المجتمع المنهار، نقدا لاذعا. و هذا ما يجعله علامة من علامات الخلود في فكر العربية و تراثها.

(1)- نقلا عن سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء ، جمع و تحقيق: د. مصطفى السقا، عبد الرحيم محمود، عبد السلام هارون، إبراهيم الأبياري، بإشراف: د. طه حسين، دار الكتب و الوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 2003، ط 04، ص: 156.

المبحث الثاني:

ديوان لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري:

تعتبر اللزوميات أو (لزوم ما لا يلزم) من بين أكبر دواوين الشعر، التي تزخر بها مكتبة التراث العربي، إنّه الديوان المعروف أيضا بلزوم ما لا يلزم لمؤلفه أبو العلاء المعري. " و اللزوم شعر الفلسفة والفكرة، هو ديوانه الذي سجل فيه تجربته، و خبرته و مراحل تفكيره، و اتجاهه إلى كشف الحقيقة. هو نهج من الشعر جديد، لا مثيل له في الشعر العربي، من حيث المعاني الجديدة التي تضمنها، و من حيث الموضوعات التي طرقها و اتخذ الحياة غاية فيها، و من حيث الأسلوب أو الشكل الذي اصطنعه، فجمع فيه بين صعوبة المعاني و قيود القافية"[1].

" و ديوان اللزوميات مجموعة شعرية قيّمة جدا، لأنها تمثل الحياة الاجتماعية لعصر هام من عصور النهضة العربية، بما فيها من ثورة على الأوضاع الفاسدة، و دعوة للتجديد و الإصلاح، و لأنها تمثل الحياة الفكرية لأزهى العصور العباسية، بما فيها من احتكاك في العقائد، و جدل في المسائل، و بحث عن حقائق الأشياء. و عليه فقد كان ديوان اللزوميات مسرحا رحبا لاصطدام الأفكار و تنازع الآراء. وهو اليوم أثر خالد في تراث العرب الفكري"[2].

و اللزوميات لدى المعري، هي نص لغوى معجمي مع قدرات معجزة، تستلزم على نفسها ما لا لزوم له، ولكنه من خلال هذه القيود التي نراها نحن قيوداً، يراها المعرى أشكالا تستوعب ما في جعبته، من ألفاظ وتراكيب ، هذه الأشكال التي تقوم بتسويق أفكاره، و نقلها بأمانة و حرص شديدين.

جاءت اللزوميات في صورة نصية مستحدثة ومن العجيب أن معظم نقادنا الأولين بل المتأخرين أيضا، لم يحاولوا أن يفهموا اللزوميات كإطار شكلي مستحدث للنص الأدبي، وإنّما كان جلّ اهتمامهم هو تكفير صاحبها، ورميه بالزندفة أحيانا، وسبّه وشتمه في أحايين كثيرة.

لزوم ما لا يلزم اصطلاح عروضي – إن صح التعبير – يعنـــي أن الشاعر التزم أشياء لا تلزم، أي أنّ المعري قيّد حريته في النظم بقيود فنية، لم يكن معشر الشعراء من قبله ومن بعده

([1]) - أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، شرح المختار من لزوميات أبي العلاء، تحقيق: د. حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991، د ط، ج 01، مقدمة المحقق ص: 03.

([2]) - كمال اليازجي، أبو العلاء و لزومياته، ص: 638.

يقيدون بها أقلامهم. و هذا المعري يطلعنا على قيوده الفنية شارحا معنـــى التزامه بها، بقوله: " و قد تكلفت في هذا التأليف ثلاث كلف: الأولى أنه ينتظم حروف المعجم عن آخرها. و الثانية أن يجيء رويّه بالحركات الثلاث و بالسكون بعد ذلك. و الثالثة أنه لُزم مع كل روي فيه شيء لا يلزم من باء أو تاء أو غير ذلك من الحروف"[1].

يشير الدكتور عبد الله العلايلي، إلى أنّ معنـــى الاصطلاح العروضي لزوم ما لا يلزم، قد تحوّل عند أبي العلاء المعري تحولا فلسفيا طريفا " فقد عرفنا أن لزوم ما لا يلزم، يعبـر عن ظاهرة نزعة باطنية بما فيه من رويين: ظاهر و باطن. و عرفنا أنه اعتزال بالقافية و أخذ لها بطائفة من الوسائل القاسية الصعبة. و عرفنا من سيرة المعري أنه أخذ نفسه بمثل هذه الوسائل المضنية، فكان في محبسين مثلما هي في رويين، إذا فهو القافية الملتزم فيها أي المتوحدة مثلما كان متوحدا"[2].

إن تجربة المعري الشعرية في هذه المرحلة الأخيرة[3] من حياته الفكرية و الأدبية، تعد شكلا متباينا و مختلفا عما كان سائدا، و متعارفا عليه عند من تقدموا أبا العلاء في الزمن و الكتابة الشعرية. واستطاع المعري بامتياز أن يُرسِيَ دعائم و أسس مغايرة لكثير من المفاهيم في الكتابة الشعرية، و إن دلّ هذا على شيء، فإنما يدل على تمايز المعري و وعيه العميق، لما تتطلبه الساحة الأدبية و الفكرية في عصره.

فقد أرسى المعري أساسه الإبداعي و قاعدته النقدية، فكل ذلك ممثلا في إبداعه الشعري، واستطاع أن يطبق ما ارتآه من آراء نقدية نظرية، فلم يتركها دون تطبيقها على إبداعه، ولعل المعري كان في ذلك، مدفوعا بحسه النقدي اللغوي الحريص على اللغة متنا، والخلق تصويرا وخيالا. و أحسب أن المعرى بذلك، قد ارتاد آفاقا لم تكن مرتادة من قبل، وفتح آفاقا ما كانت تفتح، لولا المعري وعبقريته الشاعرة الأديبة. المعري بتجربته الشعرية هذه، يعكس شكلا من أشكال وعي الذات، فقد " استطاع المعري بريادة معارفه العميقة المتنوعة تأصيل وعي الذات، و صولا إلى وعي الاختيار الإرادي، أن

([1]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم،ج 01، ص: 37.

([2]) - عبد الله العلايلي، المعري ذلك المجهول – رحلة في فكره و عالمه النفسي-، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت، 1981م، د ط ص 97.

([3]) – إذ قسم النقاد و المؤرخون حياة و شعر أبي العلاء إلى مراحل ثلاثة. يقول عميد الأدب العربي طه حسين : " جعلنا حياته أطوارا ثلاثة: أحدها طور الصبا و ينتهي سنة ثلاث و ثمانين و ثلاثمائة (383 هـ)، حين بلغ العشرين، و الثاني طور الشبيبة، و ينتهي سنة أربعمائة (400 هـ)، حين عاد من بغداد، و اعترف بانقضاء شبيبته في رسالته إلى أهل المعرة، الثالث طور الكهولة و الشيخوخة، و ينتهي بموته، فلابد أن ينقسم شعره إلى هذه الأطوار" (طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، ص: 182).

يتكامل في هذا الموقع الذي شغله من تاريخ الثقافة الإسلامية، صانعا لسلطة الثقافة واحد من أميـــز غراراتـها . و إذ قد تحقق له الاستغناء عن السلطة السياسية صار بمقدوره أن ينقدها نقد الند للند. و بتأثير وعيه الفلسفي وقف وقفة مماثلة من السلطة الدينية فانتقد الدين كايدولوجيا و شعائر و ندد بسلوك المتدينين و رجال الدين. و بفضل أفقه الواسع الذي ابتعد به عن التحزب لفئة، أو دين، أو أمة كان بوسعه توجيه النقد لجميع فئات الناس من شتى الأمم و الملل و أن يكون هجومه على الأديان شاملا، فهو قد وصل إلى القناعة بأنّ الفساد ساري في جميع الأمم و أنّ الكذب مشترك بين جميع الأديان "[1].

هذه الذات الواعية ذات تواقة إلى الانزياح. و الاختلاف عن سابقيه من الشعراء و الأدباء و المفكرين، إنها محاولة إبداعية جادة تعكس توقه إلى الخروج على الأنماط السائدة، التـــي هيمن عليها التشاكل و التماثل لعصور خلت. إنها الذات الباحثة بإلحاح و إصرار شديدين، عن الحقيقة و عن الجديد. أليس هو القائل متحديا بنبرة رجل واثق :

و إنّي، و إن كنتُ الأخير زمانُه لآت بما لم تستطعه الأوائل[2]

استطاع المعري أن يأتي بما لم تأت به الأوائل، إذ " لم يعرف القدماء إلا نوعا واحدا من لزوم ما لا يلزم، و هو ما بُنيت عليه لزوميات المعري"[3].

هذه المرحلة – مرحلة العزلة – جوهرية و مهمة في حياة المعري، لما طبع هذه المرحلة من نضج فكري و سعة خيال، و تمثيل كبير للأدب العربي و تراثه على نحو خاص، و فكر الإنسانية جمعاء على وجه العموم. فهو صادق حين يقول:

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن إلاّ و عندي من أخبارهم طرف[4]

حاول المعري أن يكتب بطريقة مغايرة في لزومياته، فنهج نهجا خاصا و متميزا في نظم شعر هذه المرحلة، إذ اختلف في نظمه للزومياته عن المراحل السابقة من حياته الشعرية و الفكرية، شكلا و مضمونا؛ فمن حيث الشكل فقد اختص بنظم اللزوميات و ألزم نفسه، و قيّد قلمه بما لا يلزم، و أما

---

(1) - هادي العلوي، المنتخب من اللزوميات نقد الدولة و الدين و الناس، مركز الأبحاث و الدراسات الإشتراكية في العالم العربي، دمشق، 1990، ط 01، ص: 17- 18.

(2) - أبو العلاء المعري، سقط الزند، ص: 106.

(3) - محمد رضا الشبيبي، لزوم ما لا يلزم في الأدب العربي، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 345.

(4) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 02 ، ص: 49.

من حيث المضمون فلم ينشئ القصائد في المديح و النسيب و الغزل و الرثاء و الهجاء، و ما إلى ذلك من أغراض الشعر المعروفة عند العرب منذ الجاهلية. و سر نفور المعري من هذه الأغراض – على حد تعبير الدكتور كمال اليازجي – هو" أنّ الشعراء كثيرا ما تطرقوا إلى الكذب في أقوالهم، فمدحوا الممدوح بما ليس فيه، و وصموا المهجوّ بما خلا منه. و لقد ادعوا مِن تكلّف عناء السفر ما لم يتكبدوه، و خلعوا عذار الحياء في النسيب بالنساء، و التشبيب بالغلمان، و تباهوا بذكر القبائح و ارتكاب المحرمات"[1].

و هذا ما يشير إليه المعري في مقدمة لزومياته قائلا: " و قد وجدنا الشعراء توصلوا إلى تحسين المنطق بالكذب و هو من القبائح، و زينوا ما نظموه بالغزل و صفة النساء و نعوت الخيل و الإبل و أوصاف الخمر، و تسببوا إلى الجزالة بذكر الحرب، و احتلبوا أخلاف الفكر و هم أهل مقام و خفض في معنى ما يدّعون أنهم يعانون من حث الركائب و قطع المفاوز و مراس الشقاء"[2].

" أين هذا من أبي العلاء الذي لم يدع شهوة إلا أذلها، و الذي اعتد بنفسه فارتفع بها عما تحتاج إليه الحياة من صراع، و لم يرد أن يتشبه بالملوك و الأمراء، و لا أن يطمع فيما يفيد عندهم الشعراء و الأدباء و العلماء من رخيص اللذات، يشترونه بأغلى الأثمان، و إنما أراد ما هو أرفع من ذلك"[3].

و هكذا انفرد أبو العلاء بهذه الخصائص الفنية، و امتاز على الشعراء قديمهم و حديثهم بهذا المذهب الجديد و الأسلوب المخترع، " فقد جرت عادة هؤلاء الشعراء أن ينظموا الشعر كيفما اتفق و على أي روي يهديهم إليه الخاطر،لا يترسمون غاية معينة كما فعل صاحب اللزوميات، و الواقع أنك إذا تصفحت كثيرا من دواوين القدماء لا تكاد تعثر فيها على أبيات التزموا فيها ما لا يلزم إلا نادرا" [4].

و هو القائل في لزومياته ساخطا على الشعراء، الذين يتخذون الكذب سبيلا للتكسب:

بني الآداب! غرتكم قديمـــــا، زخارف مثل زمزمة الــــذبـــاب

([1]) - كمال اليازجي، أبو العلاء و لزومياته، ص: 251.
([2]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص: 49.
([3]) - جابر عصفور، المرايا المتجاورة - دراسة في نقد طه حسين - ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع عبده غريب، القاهرة، 1998، د ط ، ص: 343.
([4]) - محمد رضا الشبيبي، لزوم ما لا يلزم في الأدب العربي، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ض : 347.

و ما شعراؤكـــم إلا ذئـــــاب، تلصَّصُ في المدائح و السّباب

أضرّ بمن تودّ من الأعـــادي، و أسْرق، للمقال من الزّبـــاب[1]

فالمعري يفضل الصدق. و الأدب عنده شديد الصلة بالأخلاق، و الشعر عنده منزّه عن أسباب التكسب الحقيرة، و هو يتبرأ من هذه الصفة الذميمة التي وقع ضحية لها، عدد لا يستهان به من الشعراء، حين يقول:

أنبِّئكم أني على العهد سالم و وجهي لمّا يُبْتذل بسؤال[2]

فلم يعد الشعر عند أبي العلاء المعري ذلك العبث و الفردية، و لم يكن مصبوغا بلون القَبَلية الجهوية القاتلة، و لم يكن سلاحا للقدح و المدح و الارتزاق الرخيص، فعلى يدي أبي العلاء خرج الشعر من دائرته القديمة الضيقة ليدخل آفاقا أرحب و أوسع، مداها الكون و الانسان، و حتى الحيوان، فراح يسجل الحقائق و يكشف الزيف، إذن أصبح الشعر عنده وسيلة للفكر المتأمل و بوتقة يُسكب فيها الوجدان الصادق، و تعبيرا مُشعا عن حقائق الوجود و الموجود، و نقدا ساخرا لكل ما يشوههما[3].

وقد عبّر المعري في لزومياته عن أحاسيسه و مشاعره و تأملاته و أفكاره، تجاه القضايا الكونية و الإنسانية و الفلسفية، فضلا عن انشغاله بهواجسه، بقلقه، بخوفه، بحيرته. و قد صبّ هذه الآهات في قوالب شعرية تتسم بالشك تارة، و باليقين تارة أخرى، فتراه ذلك الشاعر الذي لا يكاد يستقر على حال؛ انه الهادئ القلق، الساكن الثائر. انه الإنسان الذي يعاني الألم و اللذة، الناقد الساخر الذي يتخذ من النقد و السخرية حاملا لآرائه بكل جرأة و وضوح. إذ اشتملت لزومياته على كثير من الجدل و السجال و السخرية في مسائل أدبية و فلسفية. و هي تعبّر عن آرائه و تفكيره و شخصيته، أصدق تعبير. " فليست اللزوميات عند التحقيق إلا انعكاسا لحالاته النفسية الناشئة عن بيئته الفكرية و الاجتماعية. و يظهر فيها مطبوعا بطابع خاص يميزه عن سائر الشعراء و الكتاب، و هو يتألف من ثلاثة عناصر رئيسية هي: الحيرة و التشاؤم و الإخلاص"[4].

([1]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج01، ص: 138.

([2]) – أبو العلاء المعري، سقط الزند، ص: 242.

([3]) - خليل شرف الدين، أبو العلاء المعري مبصر بين عميان، منشورات دار و مكتبة الهلال، بيروت، 1995م، د ط، ص: 31 -32 .

([4]) - أنيس المقدسي، الروح العلائية و أثرها في أدبنا الحديث، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 234.

فقد اعتمد الصدق، و ابتعد عن الكذب و المين في نظم أبيات لزومياته، أليس هو القائل في مقدمة لزومياته:

" كان من سوالف الأقضية أنّي أنشأت أبنية أوزان، توخّيتُ فيها صدق الكلمة، و نزّهتها عن الكذب و الميط، و لا أزعُمُها كالسِّمط المُتّخذ، و أرجو أن لا تُحسب من السُّميط"[1].

و حينما قال في كلام له إنّه هجر الشعر، إنّما يقصد بذلك الشعر الذي استجيز فيه الكذب و استعين على نظمه بالشبهات[2]. و هو الذي يلح على هجر الشعر الذي يعتمد الكذب و الشبهات في نظمه، كشعر الحداثة الذي نظمه أبو العلاء في شبابه، تتجلى معالم الدعوة إلى هجر الشعر الذي استجيز فيه الكذب و استعين على نظمه بالشبهات، في الرسالة التي بعث بها أبو العلاء إلى أبي القاسم المغربي في رسالة الإغريض، و التي يقول فيها: " و الشعر الأوّل و إن كان سبب الأثرة، و صحيفة المأثرة، فإنّه كذوب القالة، مفهوم الإطالة"[3].

إنّ شعر المعري في هذه المرحلة – مرحلة العزلة من حياته – ترجمة صادقة لما يختلج في صدره، و" مما أجمع عليه القدماء بشأن اللزوميات، هو أنها ليست لعبا و لهوا، و لا هي من قبيل الهيمان الشعري الذي يقول صاحبه غير ما يعتقد، و إنّما هي لمحات شعرية أقرب إلى الصدق الواقعي منها إلى الكذب الشعري، و لذلك اعتُبرت ترجمة أمينة لما في متخيل مؤلفها من نية و معتقد"[4].

كان للمعري كما هو شأن أي شاعر ومؤلف آخر، خصائص في شعره ونثره وكتاباته بفعل البيئة التي عاش فيها وغير ذلك من العوامل الأخرى ، و من أهم خصائص شعر المعري في لزومياته؛ الاشتمال على الأمثال والحكم والحكمة ، و خصوبة الخيال ، و تكلمه عن التاريخ والحوادث التاريخية، و رجال العرب الذين اشتهروا بفعل حوادث تاريخية مشهورة، وله بيت شعر طريف يتكلم فيه عن معرفته برجال العرب والحوادث التاريخية. أين يقول:

([1]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص:15.
([2]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 45.
([3]) - أبو العلاء المعري، رسائل أبي العلاء، الرسالة الثانية، طبعه في المطبعة المدرسية في مدينة أوكسفورد هورس هارت مدير المطبعة، ص: 17.
([4]) - حميد سمير، النص و تفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري – دراسة - ، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م، د ط، ص 146.

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن إلاّ وعندي من أخبارهم طرف[1]

كما تميزت كتاباته بالأسلوب الساخر والمتهكم، و لا يفوتنا أن نقول أنّ أبرز الملامح والخصائص التي تميز بها شعر المعري في لزومياته النظرة التشاؤمية، و هي الصفة البارزة التي تطفح فوق نصوصه الشعرية. فنظر إلى العالم المحيط به بمنظار سوداوي، فلم ير فيه بذرة خير، بل كان بالنسبة إليه عالما شريرا، تفرقت به سبل الخير و الصلاح.

([1]) – أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 02، ص: 49.

الفصل الثاني

جدل القدماء حول لزوميات أبي العلاء المعري

الفصل الثاني: جدل القدماء حول لزوميات أبي العلاء المعري.

المبحث الأول: جدل القدماء حول مكانة أبي العلاء الأدبية من خلال اللّزوميات.

المبحث الثاني: جدل القدماء حول معتقد أبي العلاء من خلال اللّزوميات:

- **موقف الفريق الأول: المعري كافر زنديق.**
- **موقف الفريق الثاني: المعري مؤمن تقي.**
- **موقف الفريق الثالث: المعري حائر متردد.**

المبحث الثالث: إيمان أبي العلاء من خلال اللّزوميات:

- **الإيمان بالله و عظمتـــه.**
- **الإيمان بالملائكة و الجن.**
- **الإيمان بالكتب و الرسل.**
- **الإيمان بالبعث و النشور.**

جدل القدماء حول لزوميات أبي العلاء المعري:

1-السّجـال النـقدي؛ ضبط المفهوم:

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور أنّ السّجل[1] هي الدّلو الضخمة المملوءة ماءً، مذكّر، و قيل: هو ملؤها، وقيل: إذا كان فيه ماء قلّ أو كثر، و الجمع سجالٌ و سجولُ، ولا يقال لها فارغة سَجْل و لكن دلوٌ.

و أسْجَلَهُ: أعطاه سجلٌ أو سَجْليْن، و قالوا: الحروب سجال أي سَجْلٌ منها على هؤلاء و آخر على هؤلاء، و المُساجلة مأخوذة من السَّجْلِ. و في حديث أبي سفيان: أنّ هرقل سأله عن الحرب بينه وبين النبي (ص)، فقال له: الحرب بيننا سِجَالٌ؛ معناه أنّا ندال عليه مرّة ويدال علينا أخرى، قال: و أصله أنّ المستقين بسَجْلَيْنِ من البئر يكون لواحد منهما سَجْلٌ أي دلوٌ ملأى ماءً.

و ساجل الرَّجُلَ: باراه، و أصله في الاستقاء، وهما يتساجلان، و المساجلة :المفاخرة بأن يصنع مثل صنيعه في جَرْيٍ أو سَقْيٍ.

قال ابن برّي: " أصل المساجلة أن يَسْتَقِيَ ساقيان فيخرج كلّ واحد منهما في سجله مثل ما يخرج الآخر، فأيّهما نكل فقد غُلِبَ، فضربته العرب مثلاً للمفاخرة، فإذا قيل فلان يُساجِل فلانا، فمعناه أنّه يخرج من الشرف مثل ما يخرجه الآخر، فأيّهما نَكَل فقد غُلِبْ، و تساجلوا أي تفاخروا؛و منه قولهم: الحرب سجال، و انسجل الماء إنسجالا إذا انصبّ"[2].

و المتصفح لصفحات معجم مقاييس اللغة لابن فارس، يجد أنّ هذا الأخير لم يختلف في تعريف السّجل عن سابقه ابن منظور، إذ نجد أنّ مفهوم السجل في مقاييس اللغة كالتالي:

سجل[3]: السين و الجيم أصل واحد يدل على انصباب شيءٍ بعد امتلائه. من ذلك السجل، و هو الدلو العظيمة. و المساجلة: المفاخرة، و الأصل في الدِّلاء إذا تساجل الرّجلان و ذلك تنازعهما،

([1]) – جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري (ت 711 هـ)، لسان العرب (الجزء الحادي عشر)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2002، ط 01، مادة (السجل).

([2])- المصدر السابق.

([3]) - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ج 1، دار الجيل بيروت، 1991 م، ط 1، مادة: (سجل).

يريد كل واحد منهما غلبة صاحبه. و من ذلك الشيء المسجل، و هو المبذول لكلِّ أحد، كأنّه قد صُبَّ صبّاً.

فأما السّجل فمن السّجل و المُساجلة، و ذلك أنّه كتاب يجمع كتبا و معانيَ. و فيه أيضا كالمساجلة، لأنّه عن منازعة و مداعاة. و من ذلك قولهم الحرب سجال، أي مباراة مرّة كذا و مرة كذا.

و من خلال ما سبق، يتضح جليا أنّ مصطلح السجل في اللغة، قد مرّ بمراحل كثيرة إن صحّ التعبير؛ بمعنى أنّ المصطلح يأخذ معاني مختلفة، حسب اختلاف السياقات التي يستعمل فيها المصطلح. و لا أحد ينكر أن مصطلح السِّجال أو السجالية في الاستعمال النقدي يعني تلك الخصومة الكلامية الدائرة بين طرفين اثنين، أو بين أطراف عدّة؛ يتوق كل طرف من هذه الأطراف المتنازعة، إلى إثبات ما يذهب إليه، بتقديم حجج وأدلة دامغة تخدم ما يزعم، أو ما يذهب إليه من مذاهب وادعاءات. ثم إنّ الاعتماد و الاتكاء على الحجج و البراهين، هو الذي يعطي للخطاب بعده الجدلي و السِّجالي. إذ لا يعقل أن نحس بوجود جدل أو سجال في خطاب من الخطابات، دون ملامسة خيوط ذلك البعد الحجاجي، التي تشد أزر خطابي المتساجلين (المتجادلين) وتدعم آراء مستعملها.

إذا يمكن تعريف السجالية بأنها " غياب الوظيفة التأثيرية التي تقترن بشعرية المنطوق إذ أن النص لم يعد يملك قوة سحرية تتمثل في سحر البيان وموسيقية الألفاظ تستحوذ بهما على المخاطب أو المتلقي فيملك عليه قلبه وعقله. وإنما هو نص معرفي تداولي مبني على أفعال تكلمية، هدفها عرض مجموعة من الحقائق استناداً إلى ادعاءات ذاتية توجه إلى شريحة من المتلقين"[1]. مثلما قام به علماء الكلام الذين كانوا يعترضون على هذه الادعاءات التي تتضمنها نصوص اللزوميات (ديوان لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري) وغالباً ما كانت هذه الاعتراضات تكتسي طابعاً سجالياً يقوم على النقد والذمّ والمعارضة. فقد اختلف كثير من العلماء حول هذا الديوان الضخم، فدار حوله سجال نقدي كبير، و كان مثار جدل واسع النطاق. كما يمكن أن نلمس تقاربا في المعنى بين مصطلح السجال و الجدال أو الجدل، فهذين المصطلحين

(1) - حميد سمير، النص و تفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري – دراسة -، ص: 156 – 157 .

وجهين لعملة واحدة – إن صح التعبير– و هي عملة الخصومة الكلامية ، فكل خصومة كلامية يمكن اعتبارها جدلا و سجالا، إذ يحاول كل واحد من المتخاصمين دفع خصمه إلى الإذعان، و الاعتراف بزلله، و فقدان أفكاره روح الصدق و اليقين.

و الذي يمعن النظر و التأمل العميقين، حول مصطلح الجدال أو الجدل، يجد و يلامس خيوط التقارب التي تشد هيكلا المصطلحين، إلى مفهوم ومعنى واحد. إذ يمكن " أن نفهم معنيين لكلمة "جدل" تعني هذه الكلمة أولا: فن الكلام الذي بجعلنا نفهم و نبرهن، كما أنها تعني ثانيا: فن المناقشة. إنها تتضمن فن البرهان و فن دحض كلام الخصم. فالمجادل يدري كيف ينظم معرفته و يصبها في نظام متماسك كما يعرف بصفة خاصة، أن يجد أساسا منطقيا لآرائه، بيد أنه يتميز على نحو خاص ببراعته في تمييز الصحيح من الفاسد فيما يثبته الآخرون، و بمقدرته على اكتشاف موطن الضعف في نظريتهم، و الحجة القاطعة التي تستطيع أن تضطر المعترض إلى السكوت"[1].

فالجدال هو السجال؛ لأن كلا المصطلحين يخدمان نفس المعنى، و يستعملان في مواقف محددة، ثم إنّ المبدأ الذي يحكم السجال و الجدل؛ هو دفع المرء خصمه عن فساد رأيه أو قوله، بحجة أو دليل، كما يظهر السجال أو الجدال باعتباره مقابلة الأدلة لظهور أرجحها .

فالسجال النقدي يشتمل على المدافعة، أو الخصومة بين شخصين أو أكثر، لأن تأمل الشخص في ذهنه، أو الحديث الذي يجري في ذهنه، لا يمكن أن نعتبره سجالا؛ فالسجال يقتضي وجود متجادلين أو أكثر. و يشتمل أيضا على الأدلة و البراهين، و بغياب هذه الأخيرة لا يمكن اعتبار خطاب المتخاصمين سجالا أو جدلا.

و الجدل (السجال) عند الفيلسوف اليوناني أرسطو، يعني فن الحوار أو البحث عن الحقيقة، عن طريق السؤال و الجواب، و الجدل حسب أرسطو؛ تفنيد رأي الخصم و ذلك باستدراجه عن طريق إلقاء الأسئلة عليه، إلى أن يسلم بعبارة مناقضة لرأيه باعتبارها نتيجة نهائية تترتب على ذلك الرأي ، ثم الانتهاء به إلى تعميم ذلك، عن طريق استدراجه إلى التسليم بصدق عبارة أخرى.[2]

([1]) - د. محمد فتحي عبد الله، الجدل بين أرسطو و كنط [دراسة مقارنة]، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، 1995م، ط 01، ص: 09 – 10.

([2]) - د. محمد فتحي عبد الله، الجدل بين أرسطو و كنط [دراسة مقارنة]، ص: 13 – 14 – 15.

ونحن نحاول رصد الجدل الدائر بين القدماء و المحدثين حول لزوميات أبي العلاء، علما أن أبا العلاء يعد من بين الذين شغلوا الدنيا؛ فكان محط اهتمام المتقدمين من علماء الأدب، و المتأخرين من الدارسين لتراثه، فتعددت الآراء حوله، و تفرقت الرؤى حول قيمة ديوانه لزوم ما لا يلزم؛ و الذي سيكون بمثابة ساحة معركة السجال و الجدل النقدي، الذي لاحت في الأفق بوادره، منذ ميلاد هذا الديوان الفريد من نوعه.

المبحث الأول:

جدل القدماء حول مكانة أبي العلاء الأدبية من خلال اللزوميات:

أجمع القدماء على رفعة مكانة المعري الأدبية، فلم يختلفوا كثيرا في هذا الأمر، كما اختلفوا في معتقده الديني. فكلهم يعترفون له بعلو الكعب في الأدب و الشعر، و يضعونه في مصاف أدباء و شعراء العربية الكبار، فلم يتناول – حسب اطلاعي– أحد منهم اللزوميات كموضوع أدبي بحت (أي أن القدماء لم يعطوا الجانب الأدبي للزوميات، ذلك الاهتمام الذي حظي به الجانب الفكري الديني للزوميات)، إلا ما جاء متفرقا؛ كأن يسجلوا ملاحظات حول طريقة أبي العلاء في الكتابة الشعرية، و ما لها من تأثير سلبي على قصائده. فقد كان اهتمام القدماء ينصب أساسا، في الحديث عن المادة الفكرية التي تحملها دفتي اللزوميات، فصرفوا انتباههم و اهتمامهم عن المادة الأدبية. فراحوا ينظرون إلى اللزوميات نظرة دينية فلسفية بحتة. فرأوا فيها كتابا في الزندقة و الكفر، تعكس فكر الرجل و تمذهباته المختلفة.

ولكن لم يمنع هذا، من رصد بعض الجدل الذي دار حول شعره، في هذه المرحلة الحاسمة من حياته الأدبية، و هذا ما سنحاول عرضه هاهنا.

لقد خصص المعري في مقدمة لزومياته، حوالي ثلاثين صفحة للحديث عن المسائل العروضية، بالمقابل فقد اكتفى بصفحتين فقط، للحديث عن موضوع الديوان و النوع الذي ينتمي إليه، فلم يسهب في وصف المضمون كما أسهب في وصف الشكل (و هو حديثه عن العروض). و كأنّ غرضه من تأليف اللزوم – على حد تعبير الدكتور عبد الفتاح كيليطو– أن يمثل لمختلف أنواع القافية، فلربما استرسل في مسائل عروضية لغاية تعليمية، و أنّه مولع بالعروض[1].

يرفع القدماء من قيمة أبي العلاء الأدبية، بشهاداتهم المنتشرة في تراجمهم له، إذ رأى ياقوت الحموي في أبي العلاء، ذلك الأديب الغزير الفضل و الأدب، حيث يقول في معجم أدبائه: " كان

(1) - عبد الفتاح كيليطو، أبو العلاء المعري أو متاهات القول، دار توبقال للنشر، المغرب، 2000م، ط 01، ص: 44.

غزير الفضل، شائع الذكر، وافر العلم، غاية الفهم، عالما باللغة، حاذقا بالنحو، جيِّد الشعر جزل الكلام، شهرته تغني عن صفته، و فضله ينطق بسجيته "[1].

إنّ ياقوتا هنا، يعترف بالمعري أديبا و شاعرا من الدرجة الأولى، فقد وصفه بصفات الأدباء المتمكنين، إذ وصفه بالعالم اللغوي، الذي لا يخفى عنه منطق النحو، و وصفه بالشاعر المجيد، الجزل كلامه. و هذا الخطيب البغدادي يقول في المعري: " كان حسن الشعر، جزل الكلام، فصيح اللسان، غزير الأدب، عالما باللغة حافظا لها "[2]. و كذا الأنباري الذي يقول معترفا بفضل المعري و أثره الكبير في الساحة الأدبية العربية. يقول الأنباري عن المعري : " كان غزير الفضل، وافر الأدب، عالما باللغة، حسن الشعر، جزل الكلام...، و صنف تصانيف كثيرة و أشعارا جمة "[3].

إلى جانب هؤلاء نجد الباخرزي في دمية القصر، و الذي يذهب إلى أنه من الصعب، بل من المستحيل، إيجاد أديب كأبي العلاء، حين يقول عنه: " ضرير ما له في أنواع الأدب ضريب، و مكفوف في قميص الفضل ملفوف "[4].

كما يذهب السمعاني إلى القول، بأنّ المعري صاحب شهرة واسعة الانتشار، فقد ذاع صيته في أرجاء العالم، و أنه " الشاعر المعروف، البحر الذي لا ساحل له في اللغة...، المكفوف البصر، أعجوبة الزمان "[5].

كما نجد ابن الجوزي معترفا بشاعرية أبي العلاء، و بسعة اطلاعه و معرفته باللغة، حين يقول: " قال الشعر و هو ابن إحدى عشرة سنة، و له أشعار كثيرة. و سمع اللغة و أملى فيها كتبا، و له بها معرفة تامة "[6].

حكى أبو الحسن الدلفي المصيصي الشاعر قائلا[7]: " و حضرته يوما و هو يملي في جواب كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء:

([1])- أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، إرشاد الأريب في معرفة الأديب (معجم الأدباء)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1991م، ط 01، ج 01، ص: 397.

([2]) - الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 05. و نفس القول نجده أيضا عند: السمعاني، الأنساب، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 13.

([3])- الأنباري، نزهة الألباء، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 16.

([4]) - الباخرزي، دمية القصر، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 08.

([5]) - السمعاني، الأنساب، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص:15.

([6]) - ابن الجوزي، المنتظم، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 18.

([7]) – أبو منصور الثعالبي، تتمة اليتيمة، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 04.

وافى الكتاب فأوجب الشُّكرا فضممته و لثِمتُه عشـــــرا

و فضضتُه و قرأته فـــإذا أجلى كتاب في الورى يُقرا

فمحاه دمعي من تحـــدّره شوقا إليك فلم يدع سطـــرا[1]

فتحفظتها، و استعملتها كثيرا في مكاتبات الإخوان "

فالدلفي المصيصي هنا، يعترف بشاعرية أبي العلاء، و هو عندما يعترف بأنه يستعمل أبيات المعري في مراسلاته الإخوانية، يشهد بعلو مكانة المعري، و أنّ له مقدرة عالية في قول الشعر. و أنّ أقوال المعري الأدبية– خاصة الشعرية منها– من الأشياء التي لا يمكن الاستغناء عنها.

و مما يشهد بعلو كعب المعري الأدبي، ما حكاه عنه مؤرخو سيرته، إذ حكوا أن كثيرا من الناس قصدوا أبا العلاء للتعلم و الاستزادة في العلم، أو الاستفسار عن بعض المسائل الأدبية، التي استعصى عليهم الإحاطة بحقيقتها. و في هذا الشأن يقول القفطي: " و لما عاد إلى المعرة في سنة أربعمائة لازم منزله، و شرع في التصنيف، و أخذ عنه الناس، و سار إليه الطلبة من الآفاق...، و كاتبه العلماء و الوزراء و الفضلاء، و أهل الأقدار، و اختاروا عليه التصنيفات ففعل "[2].

يضيف القفطي قائلا: " يذكرون أنّ رجلا ... وقع إليه كتاب في اللغة، سقط أوّله، و أعجبه جمعه و ترتيبه، فكان يحمله معه و يحجّ، فإذا اجتمع بمن فيه أدب أراه إياه، و سأله عن اسمه، و اسم مُصَنِّفه[3]، فلا يجد أحدا يخبرُه بأمره، و اتفق أن وجد من يعلم حال أبي العلاء، فدله عليه. فخرج الرجل بالكتاب إلى الشام، و وصل إلى المعرة، و اجتمع بأبي العلاء، و عرّفه ما حاله، و أحضر الكتاب، و هو مقطوع الأول. فقال له أبو العلاء: هذا الكتاب اسمه كذا، و مُصَنِّفه فلان، ثم قرأ عليه من أول الكتاب إلى أن وصل إلى ما هو عند الرجل، فنقل عنه النقص، و أكمل عليه تصحيح النسخة "[4].

([1]) – و الأبيات مما لم يرو لأبي العلاء في ديوانيه.

([2]) - القفطي، انباه الرواة، ج 01، ص: 86.

([3])- و قد قيل إن هذا الكتاب هو " ديوان الأدب " للفارابي (إسحاق بن إبراهيم الفارابي)اللغوي، و هو مضبوط على على أوزان الأفعال، و مُصَنّفه كان يسكن ما وراء النهر. و يقال: انه خال الجوهري، مصنِّف كتاب " الصحاح ". و قيل أن الجوهري خاله، و الأول أشبه.

- المصدر السابق، ج 01، ص 87.

([4]) – المصدر السابق، ج 01، ص: 87.

كما يشير السيد البطليوسي إلى أنّ المعري، قد نهج نهجا جديدا في ديوانه لزوم ما لا يلزم، وكانت تجربته الشعرية تجربة رائدة لا مثيل لها، من ناحية المعاني الجديدة، و المواضيع التي طرق المعري أبوابها، مستنطقا الحقيقة من خلالها، و من ناحية الشكل، إذ ألبس المعري قصائده ثوبا جديدا، و أفرغها في قالب شكل جديد، لم تكن العرب قديما و حديثا على عهد به. يقول السيد البطليوسي متحدثا عن ديوان أبي العلاء، و ما تخلله من تجديد و خصائص فنية: " و اللزوم شعر الفلسفة و الفكرة، هو ديوانه الذي سجل فيه تجربته، و خبرته و مراحل تفكيره، و اتجاهه إلى كشف الحقيقة. هو نهج من الشعر جديد، لا مثيل له في الشعر العربي، من حيث المعاني الجديدة التي تضمّنها، و من حيث الموضوعات التي طرقها و اتخذ الحياة غاية فيها، و من حيث الأسلوب أو الشكل الذي اصطنعه، فجمع فيه بين صعوبة المعاني و قيود القافية "[1].

لكن هناك من علماء الأدب، من يوجّه نقدا لاذعا لأبي العلاء في لزومياته، فرأوا فيها التكرار الممل و التكلف الظاهر، و استعمال الغريب من الألفاظ...، الخ من الأشياء التي تذهب جمال الأدب و حسن الشعر. فمن علماء الأدب من يزعم أن الكلفة ظاهرة في لزوميات أبي العلاء المعري، و أن جيِّدها المطبوع لا يزيد على رديها المصنوع.

و أقدم ما وصل إلينا من هذا القبيل، رأي ضياء الدين بن الأثير، فقد زعم أن شعر أبي العلاء في اللزوم متكلف.

يقول بن الأثير عن لزوميات أبي العلاء: " و قد جمع أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان، كتابا و سمّاه كتاب اللزوم، فأتى به بالجيّد الذي يحمد و الرديء الذي يذم"[2].

جاء شعر أبي العلاء في لزومياته متكلفا، و سبب ذلك حسب ابن الأثير، هو التزامه ما لا يلزم، و الكلفة حسبه تذهب رونق الشعر و تُميته، و في هذا يقول معلقا على أبيات لأبي العلاء: " الكلفة وحشة تذهب برونق الصنعة، و ما ينبغي لمؤلف الكلام أن يستعمل هذا النوع حتى يجيء به متكلفا. و مثاله في مثل هذا المقام كمن أخذ موضوعا رديئا فأجاد فيه صنعته، فإنّه يكون عند

([1]) - السيد البطليوسي، شرح المختار من لزوميات أبي العلاء ، ص: 03.

([2]) - ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، قدمه و علّق عليه: د. أحمد الحوفي، د. بدوى طبانه، دار نهضة مصر للطبع و النشر، الفجالة – القاهرة، د ت، ج 01، ط 02، ص: 281.

ذلك قد راعى الفرع، و أهمل الأصل، فأضاع جودة الصنعة في رداءة الموضوع. و قد سلك ذلك أبو العلاء المعري أحمد بن عبد الله بن سليمان"[1].

يستشهد بن الأثير بأبيات أبي العلاء الآتية:

بنت عن الدنيا و لا بنت لي فيها و لا عرس و لا أخـــت

و قد تحملت من الوزر مـا تعجز أن تحمله البـــخـــــت

إن مدحوني ساءني مدحهم و خلت إنِّي في الثرى سخت[2]

كما يقول بن الأثير متحدثا عن شعر لأبي تمام في اللزوم: " هذا أحسن ما يجيء في هذا الباب، و ليس بمتكلف كشعر أبي العلاء، فإنّ حسنَ هذا مطبوع، و حسن ذاك مصنوع"[3]

كما يذهب ابن أبي حديد في كتابه (شرح نهج البلاغة)، نفس ما ذهب إليه بن الأثير؛ و هو أن شعر المعري في لزومياته، قد جاء أكثره متكلفا، و هو الذي يقول: " و قد صنع أبو العلاء المعري كتابا في اللزوم من نظمه، فأتى فيه بالجيّد و الرديء، و أكثره متكلف"[4].

كما يذكر ابن خلدون في مقدمته؛ أن علماء الأدب يعيبون شعر المتنبي و المعري، بعدم النسج على الأساليب العربية، فكأن شعرهما كلام منظوم، نازل عن طبقة الشعر.[5]

يرى الخفاجي أن أبا العلاء المعري يلغز في شعره، و هو ما يناقض الفصاحة، و هو (أي المعري) يعتمد الغرابة و الإلغاز، و لا يبيِّن قوله، على عكس الفصاحة التي تعني البيان و الظهور على حد تعبير الخفاجي.[6]

يستشهد الخفاجي بقول أبي العلاء في لزومياته:

و جبت سرابيا كأن إكامـــــــه جوارٍ و لكن ما لهن نهـود

تمجس حرباء الهجير و حوله رواهب خيط و النعام يهود[7]

([1])- المصدر السابق، ج 01، ص: 283.

([2]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص: 174.

([3])- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، ج 01، ص: 288.

([4]) - ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء، ص: 395.

([5]) - ابن خلدون، المقدمة، ضمن تعريف القدماء بابي العلاء، ص: 411.

([6])- الخفاجي، سر الفصاحة، ضمن تعريف القدماء بابي العلاء، ص: 369.

([7]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص: 256.

يعلق الخفاجي على هذين البيتين قائلا : " فألغز بقوله (جوارٍ) عن الجواري من الناس، و هو يريد كأنهن يجرين في السراب. و بقوله (نهود) عن نهود الجواري، و هو يريد بنهود: نهوض؛ أي كأنهن يجرين في السراب و ما لهن على الحقيقة نهوض. و أراد بقوله (تمجس حرباء)، أي صار لاستقباله الشمس كالمجوس التي تعبدها و تسجد لها. و جعل الرواهب النعام لسوادها. و (يهود): يرجع، و هو يلغز بذلك عن اليهود، لما ذكر المجوس و الرواهب"[1].

كما يعلق على بيت أبي العلاء الذي يقول فيه:

إذا صدق الجد افترى العم للفتى مكارم لا تكري و إن كذب الخال[2]

يقول الخفاجي معلّقا، أن هذا الذي نلمسه في شعر أبي العلاء، ليس من الفصاحة بشيء، حين يقول: " يريد بالجَد الحظ، و بالعم الجماعة من الناس، و بالخال المخيلة. و قد ألغز بذلك عن العم و الجَدِّ و الخال من النسَب. فهذا و أمثاله ليس من الفصاحة بشيء، و إنما هو مذهب مفرد و طريقة أخرى"[3].

هذا ما استطعنا رصده من اختلاف القدماء، حول المكانة الأدبية لأبي العلاء المعري، و موقفهم منه من خلال نصوص اللزوميات. فهناك من يعده أديبا شاعرا، و عارفا بمواطن الجمال، و فنانا بارعا، تربع على عرش الكتابة الشعرية، و يعدونه من أساطين العربية و جهابذتها، الذين قدّموا للإنسانية إرثا أدبيا و فكريا نفيسا، لا يمكن الاستغناء عنه. كما أنّ هناك فريقا من علماء الأدب، الذين يؤاخذون أبا العلاء، فأخذوا يتتبعون سقطاته في الكتابة الشعرية، فوصفوا أدبه بالتكلف و الغرابة و الإلغاز، و هي الأمور التي تنقص من شأن أبي العلاء، و مكانته الأدبية.

فرغم هذا و ذاك، يبقى المعري من بين شعراء العربية، المشهود لهم بالسبق و التفوق، فلا تعرف العربية شاعرا، استطاع أن ينظم ديوانا ضخما كلزوم ما لا يلزم لأبي العلاء، فهو ديوان فريد من نوعه، لا تجد له مثيلا و لا نظيرا، في شكله و مضمونه في التراث العربي، إذ " لم يعرف القدماء إلاّ نوعا واحدا من لزوم ما لا يلزم، و هو ما بُنيت عليه لزوميات المعري"[4]. بل بالعكس راح

([1]) - الخفاجي، سر الفصاحة، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء، ص: 372.
([2]) - أبو العلاء المعري، سقط الزند، ص: 249.
([3]) - المصدر السابق، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء، ص: 372.
([4]) – محمد رضا الشبيبي، لزوم ما لا يلزم في الأدب العربي، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 345.

الشعراء و الأدباء يقلدون المعري، فلم يفلحوا فيما جروا وراءه، فلم يجدوا سبيلا إلى إكمال ما عزموا عليه. إنّه الشاعر الذي " كان مطلعا على العلوم، لا يخلو في علم من الأخذ بطرف، متبحرا في اللغة، متسع النطاق في العربية، جامع الشعوب للطرق الأدبية، ندرة في العالم، و شذرة في بني آدم؛ ما ولدت مثله الليالي، و لا أوجدت شبيهه المعالي"[1]. و نحن نذهب مذهب محمد رضا الشبيبي، حين قال:" و خلاصة القول كان صاحب اللّزوميات مطبوعا على هذا الفن، و قد يتكلف و يتعسف و لكن تكلفه ليس بكثير خلافا لما ادعاه هؤلاء الأدباء"[2].

(1) - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ضمن تعريف القدماء بابي العلاء، ص: 218.
(2) - محمد رضا الشبيبي، لزوم ما لا يلزم في الأدب العربي، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري ، ص: 349.

المبحث الثاني:

جدل القدماء حول معتقد أبي العلاء من خلال اللزوميات:

حظيت قضية معتقد أبي العلاء ، باهتمام الدارسين منذ كان، حتى أيامنا هذه، و قد تحدث فيها معاصرو أبي العلاء المعري، فقلما تجد ترجمة لأبي العلاء مبتورة من آراء أصحابها حول عقيدة المعري و معتنقه الديني، فكلٌ يضعه في معتقد من المعتقدات الشائعة و المختلفة، حتى تلك الدخيلة على الثقافة العربية، كل حسب ما يهديه إليه ظنه بأبي العلاء. يقول ياقوت الحموي: " و الناس في أبي العلاء مختلفون، فمنهم من يقول: كان زنديقا ... ، و منهم من يقول: كان زاهدا عابدا مُتقلّلا، يأخذ نفسه بالرياضة، و الخشونة، و القناعة باليسير، و الإعراض عن أعراض الدنيا"[1].

" فلم تتفّق كلمة المتقدمين و المتأخرين، على جعل أبي العلاء يدين بدين واحد، و إنما جعلوه نهبا مقسما بين الملل و النحل، و ألحقه كل واحد بما شاء و شاء له الهوى. فجعلوه برهميا و مزدكيا[2]، و زنديقا و ملحدا وكافرا، و معطلا و دهريا[3]، و قرمطيا و شيعيا[4]، و درزيا و تقيا ..."[5].

و ما تزال قضية معتقد المعري محل جدل و سجال نقدي، و دراسة و نقاش، في أوساط الدارسين في عصرنا الحديث، فالمتصفح للدراسات الحديثة، يجد رأيا في معتقد أبي العلاء، أو أخبارا عن عقيدته، فقلما تخلو منه الكتب التي تضع المعري تحت عدسة مجهر البحث و الدراسة. و كأنّ الناس نسوا أو تناسوا أن في شعر المعري، أبياتا رائعة في كل غرض من أغراض الشعر، و في نثره آيات بارعة لا تقل عن شعره في الجودة، فلم يذكروا له إلاّ السيئات[6].

([1]) - ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 01، ص: 416.

([2]) - نسبة إلى المزدكية، و هي دين أو مذهب يعتقد أصحابه إباحة زواج الوالد من ابنته، وينكرون النبوات.(كمال اليازجي، أبو العلاء ولزومياته، ص: 199).

([3]) - نسبة إلى الدهرية، و من مبادئها؛ قول أتباعها بفناء الدنيا و اضمحلال الروح، و التولد الذاتي، و اعتقادهم بأن الروح مصدرها الأرض، تنشأ مع الجسم و تفنى بفنائه، و غني عن البيان أن هذا المذهب لم يصادف انتشارا ما بين المسلمين، لنفورهم الشديد من مبادئه.(كمال اليازجي، أبو العلاء و لزومياته، ص: 203).

([4]) - نسبة إلى المذهب الشيعي، و هو من بين الفرق و المذاهب الإسلامية، و أما مصطلح الشيعة، يطلق على من يذهب هذا المذهب، و إنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا عليا كرم الله وجهه و يقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هم مجمعون على أن النبي صلى الله عليه و سلم نصّ على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه و أظهر ذلك و أعلنه، و أن أكثر الصحابة ضلوا بترك الاقتداء به بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم فرق كثيرة أشهرهم الاثناعشرية.(علي كنجيان خناري، مصادر ثقافة أبي العلاء المعري، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2001م، ط 01، ص: 230).

([5])- محمد سليم الجندي، دين أبي العلاء، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص:284..

([6]) - المصدر السابق، ص: 280.

و المتصفح لآراء القدماء، يجدها على ثلاثة أفرقاء؛ فريق اتهمه بالإلحاد و الزندقة و الكفر، و فريق يجد المعري تقيا صالحا، و فريق حائر في أمره، فلا هو يرمي الرجل بالكفر، و لا هو يحشره في زمرة المؤمنين الأتقياء. هذا الفريق عادة ما يُستنتج من مواقفهم، أنّ المعري يتأرجح بين عواصف راعدة، فتارة تلوح به يمينا، و تارة أخرى تقذف به شمالا، فلا يكاد يستقر رأيهم في معتقد المعري، يمكن تسمية هذا الفريق، فريق " **بين بين** ".

- **موقف الفريق الأول: المعري كافر زنديق.**

سنبدأ باستعراض آراء الفريق الأول، حول اعتقاد أبي العلاء الديني، يقول ياقوت الحموي الذي يتهم المعري في دينه، و يضعه ضمن الذين خرجوا عن طاعة الله، و كفروا به. يقول ياقوت الحموي في معجمه الأدبي: " و كان متهما في دينه، يرى رأي البراهمة، و لا يرى فساد الصورة، و لا يأكل لحمًا، و لا يؤمن بالرسل و البعث و النشور"[1]. أما ابن الوردي فيقول: " و أنا كنت أتعصب له، لكونه من المعرة ثم وقفت له على كتاب (استغفر و استغفري)، فأبغضته، و ازددت عنه نفرة. و نظرت له في كتاب (لزوم ما لا يلزم)، فرأيت التبرِّي منه أحزم، فان هذين الكتابين يدلان على أنه كان لما نظمهما هائما حائرا، و مذبذبا نافرا، يقرُّ فيهما أن الحق قد خفي عليه، و يود لو ظفر باليقين، فأخذه بكلتا يديه"[2].

ومن بين القدماء الذين اتهموا أبا العلاء في دينه، نجد ابن الجوزي الذي يقول في مرآة الزمان: " أقواله تدل على اختلال عقيدته، و كان ظاهر أمره الميل إلى مذهب البراهمة، لأنهم لا يرون ذبح الحيوان، و يجحدون الرسل، و قد رماه جماعة بالزندقة و الإلحاد، وذاك أمر ظاهر في كلامه و أشعاره، و أنه يرد على الرّسل، و يعيب الشرائع و يجحد البعث"[3]. كما يقول أيضا محصيا زنادقة الإسلام: " زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الرواندي، و أبو حيان التوحيدي، و أبو العلاء"[4].

ذكر ابن الجوزي أبيات شعر للمعري، دليلا على كفره و زندقته، و من هذه الأبيات نسوق هذه الأبيات الثلاثة، على سبيل المثال لا الحصر:

([1])- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص: 407.
([2])- ابن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 211.
([3])- سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 144.
([4]) - ابن السبكي، طبقات الشافعية، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 410.

قلتم لنا خالق حكيم قلنا صدقتم كذا نــقــول

زعمتموه بلا زمـــان و لا مكان ألا فــقولـوا

هذا كلام له خـبـيءٌ معناه ليست لنا عـقـول[1]

ثم يعلّق عليها بقوله: " أنظر إلى حماقة هذا الجاهل، أنكر أن يكون الخالق موجودا، لا في زمان و لا في مكان، و نسي أنه أوجدهما. و إنما ذَكرتُ هذا من شعره ليُستدل بها على كفره. فلعنه الله"[2].

و هذا الإمام فخر الدين في كتابه (الأربعين في أصول الدين)، يردّ على هذه الأبيات قائلا: " و قد هذى هذا في شعره "[3].

كما نجد أيضا ابن عقيل الذي اتهم المعري اتهاما شنيعا بقوله: " من العجائب أن المعري أظهر ما أظهر من الكفر البارد، الذي لا يبلغ منه مبلغ شبهات الملحدين، بل قصر فيه كل التقصير، و سقط من عيون الكل. ثم اعتذر بأن لقوله باطنا، و أنه مسلم في الباطن. فلا عقل له و لا دين؛ لأنه تظاهر بالكفر، و زعم أنه مسلم في الباطن. و هذا عكس قضايا المنافقين و الزنادقة، حيث تظاهروا بالإسلام و أبطنوا الكفر. فهل كان في بلاد الكفّار حتى يحتاج إلى أن يبطن الإسلام! فلا أسخف عقلا ممن سلك هذه الطريقة التي هي أخسّ من طريقة الزنادقة و المنافقين"[4].

و قد روى الصفدي في الوافي بالوفيات، قول القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني، الذي قال: " قال لي المعري لم أهج أحدا قط، فقلت له: صدقت إلا الأنبياء عليهم السلام. فتغيَّر لونه"[5].

و قد كان ابن الجوزي من أشهر القدماء، الذين رموا أبا العلاء بالإلحاد و الزندقة، و الذي يقول في المنتظم : " و قد حُكي لنا عن أبي زكريا أنه قال: قال لي المعري: ما الذي تعتقد؟ فقلت في نفسي: اليوم أعرف اعتقاده، فقلت: ما أنا إلاّ شاك فقال: هكذا شيخك"[6]. أما القفطي فقد قال: " و حدثني الوزير فخر الدولة أبو نصر بن جهير، قال حدثني المنازي الشاعر، قال: اجتمعتُ بأبي العلاء المعري بمعرة النّعمان، وقلتُ له: ما هذا الذي يُروى عنك و يُحكى؟ فقال: حسدني قومٌ،

([1]) – أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 02، ص: 160.

([2])- ابن الجوزي، المنتظم، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 25.

([3]) - الإمام فخر الدين، الأربعين في أصول الدين، ص: 95.(نقلا عن: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 07، ض: 65).

([4]) - ابن الجوزي، المنتظم، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 20.

([5]) - الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 07، ص: 65.

([6]) - ابن الجوزي، المنتظم ، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 19.

فكذبوا عليَّ، و أساؤوا إليّ. فقلتُ له: على ماذا حسدوك و قد تركتَ لهم الدنيا و الآخرة؟ فقال: و الآخرة أيها الشيخ! فقلتُ: إي و الله"[1].

كما أورد القفطي قول غرس النِّعمة الذي قال متحدثا عن أبي العلاء المعري: " و أذكر عند ورود الخبر بموته، و قد تذاكرنا أمره، و إظهاره الإلحاد و كفره، و معنا غلام يُعرف بأبي غالب بن نبهان، من أهل الخير و السلامة، و الفقه و الديانة، فلما كان من غد يومنا حكى لنا، فقال: أُرِيت البارحة في منامي رجلا شيخا ضريرا، و على عاتقه أفعيان متدليان إلى فخذيه، و كل منهما يرفع فمه إلى وجهه، فيقطع منه لحما يزدرِده، و هو يصيح و يستغيث، فقلت: من هذا؟ فقيل لي: هذا المعري الملحد "[2].

كما ردّ القاضي أبو جعفر محمد بن إسحاق البحائي الزوزني ، على المعري بقصيدة أبياتها جارحة، فاكتفى بالشعر وسيلة، للتعبير عن تذمره، حيال وضع المعري الديني، قائلا:

كلبٌ عوى بمعرة النُّعمـــان لما خلا عن ربقةِ الإيمـان

أمعرة النُّعمان ما أنجبَت إذ أخرجتِ منك معرّة العُميان[3]

قال ياقوت الحموي: " قرأتُ في كتاب فلَك المعاني: إنّ كثيرا من الجهال يعدّ الموتَ ظلما من الباري عزّ و جلّ، و يستقبحه، بما فيه من النعمة، و الحكمة الراحة و المصلحة، و قد قال أبـــو العلاء بن سليمان المعرِّي مع تحذلقه و دعواه الطويلة العريضة، و شهرة نفسه بالحكمة و مظاهرته:

و نهيت عن قتل النفوس تعمدا و بعثت أنت لقتلها ملكين

و زعمت أنّ لها معادا ثانيـــا ما كان أغناها عن الحالين![4]

و هذا كلامُ مجنون معتوه، يعتقد أنّ القتل كالموت و الموت كالقتل، فليت هذا الجاهل لمّا حُرِم الشرع و بَرْدَه، و الحق و حلاوته، و الهدى و نوره، و اليقين و راحته" [5].

([1]) - القفطي، انباه الرواة، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 63.
([2]) - المصدر السابق ، ص: 64.
([3]) - القفطي، انباه الرواة، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 55. ينظر أيضا: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 07، ص: 65 – 66.
([4]) - و البيتين مما لم يرو في ديواني أبي العلاء.
([5]) - ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 01، ص: 432 – 433.

كما أن لابن السبكي موقفا في عقيدة أبي العلاء المعري، حين يقول في حقه: " قبّحه الله! ما أجرأه على الله عزّ و جلّ"[1] ، يأتي موقف ابن السبكي، بعد أن نسبَ للمعري قول البيتين المشهورين و أولهما:

كم عاقلٍ عاقلٍ أعيتْ مذاهبُه و جاهلٍ جاهلٍ تلْقاهُ مرزُوقا[2]

- **موقف الفريق الثاني: المعري مؤمن تقي.**

ذهب الفريق الثاني من العلماء القدامى، عكس ما ذهب إليه الفريق الأول، من تجريح و تجريم المعري في دينه، و صلته بربه عز وجلّ. هذا الفريق الثاني، فريق مدافع عن المعري – إن صحّ التعبير – و عقيدته الدينية، فهي على حدّ اعتقادهم و إيمانهم بالمعري، لا تشوبها شوائب، و لا تعتريها تشققات الكفر و الزندقة.

على رأس الفريق الثاني، و القائل بسلامة معتقد المعري الديني، نجد المؤرّخ المشهور، كمال الدين ابن العديم، الذي ألّف كتابا كاملا للدفاع عن المعري، و الذود عن سمعته و شهرته، التي تعدّت الحدود الجغرافية العربية، لتصل إلى أقطار العالم، مؤثرة في أدب أدبائها و شعرائها. الكتاب موسوم بـ: (الإنصاف و التحرّي في دفع الظلم و التجرّي عن أبي العلاء المعري).

و يرى الدكتور سامي الكيالي أنّ لدفاع ابن العديم قيمته الكبيرة، فهو قريب العهد بالمعري، و هو حلبي، و هو أديب واسع الاطلاع، و فقيه مجتهد، و عالم متزن الفكر، و شاعر يتذوق الأدب، و يملك ناصية الصنعة، و مؤلف كتب في شؤون الفكر، كتب في التاريخ فأبدع، و كتب في غير التاريخ فأطرب، و قد قرأ كتب المعري أو أكثرها قراءة فهم و وعي، فآلمه أن يصبح هذا الفيلسوف الحكيم مضغة في أفواه الجهلاء، و أن تفسر آرائه على غير مقصدها[3]. يقول ابن العديم: " ابتدرتُ دونه مناضلا، و انتصبتُ عنه مجادلا، و انتدبتُ لمحاسنه ناقلا. و ذكرت في هذا الكتاب مولده و

([1]) - ابن السبكي، طبقات الشافعية، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 410.
([2]) - و البيت لم يرد في ديواني أبي العلاء المعري.
([3]) - سامي الكيالي، أبو العلاء المعري دفاع المؤرخ ابن العديم عنه، ص: 19 – 20.

نسبه، و تحصيله للعلم و طلبه، و دينه الصحيح و مذهبه، و ورعه الشديد و زهده، و اجتهاده القوي و جِدِّه، و طعن القادح فيه و ردِّه، و دفع الظلم عنه و صدِّه"[1].

و في الإنصاف يقول ابن العديم مدافعا، و كاشفا عن دسائس الذين رموه بالإلحاد:

" قصده جماعة لم يعُوا وعيه، و حسدوه إذ لم ينالوا سعيه، فتتبعوا كتبه على وجه الإنتقاد، و وجدوها خالية من الزيغ و الفساد؛ فحين علموا سلامتها من العيب و الشين، سلكوا فيها معه مسلك الكذب و المين، و رموه بالإلحاد و التعطيل، و العدول عن سواء السبيل، فمنهم من وضع على لسانه أقوال الملحدة، و منهم من حمل كلامه على غير المعنى الذي قصده؛ فجعلوا محاسنه عيوبا، و حسناته ذنوبا، و عقله حمقا، و زهده فِسقًا، و رشقوه بأليم السهام، وأخرجوه عن الدين و الإسلام، و حرّفوا كلِمه عن مواضعه، و أوقعوه في غير مواقعه"[2].

كما يقول أيضا ابن العديم، عن تلاعب الحساد بشعر أبي العلاء، و تقويله ما لم يقله. يقول ابن العديم: " و قرأت بخط أبي اليسر المعري في ذكره: و كان رضي الله عنه يُرمى من أهل الحسد له بالتعطيل، و يعمل تلامذته و غيرهم على لسانه الأشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصدا لهلاكه و إيثارا لإتلاف نفسه، فقال رضي الله عنه: [3]

حاول إهواني قوم فمـــــا واجهتهم إلا بإهـــــــــوان

يُحرِّشوني بسعاياتهـــــم فغيروا نيّة إخـــــوانـــــي

لو استطاعوا لوشوا بي إلى المريخ في الشهب و كيـوان

و قال أيضا:

غريت بذمي أمّـــــــــة و بحمد خالقـــها غـــريتُ

و عبدتُ ربي ما استطعت و من بريتـــــه بريـــــت

و فَرَتْنيَ الجُهّال حـــــا شدةٌ عـــليّ و ما فـــريت

سعروا عليّ فلم أحـــس و عندهم أنـــي هويـــتُ

و جميع ما فاهوا بـــــه كِذبٌ لعمـــرك حَنبريـــتُ

([1]) - كمال الدين ابن العديم، الإنصاف و التحري في دفع الظلم و التجري عن أبي العلاء المعري، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص:485 – 486.

([2]) – المصدر السابق، ص: 484.

([3]) - الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 01، ص: 66. الحنبريت: الخالص. و الأبيات لم يرد ذكرها في ديوانيه.

و مما يدل على صحة عقيدته ما رواه الحافظ السلفي، مؤكدا أن المعري مؤمن تقي، نظرا لما سمعه من القاضي أبي المهذب عبد المنعم أحمد السروجي، عن القاضي أبي الفتح الذي قال: " دخلت على أبي العلاء ذات يوم بالمعرة، في وقت خلوة بغير علم منه، و كنتُ أتردد إليه و أقرأ عليه، فسمعته ينشد من قوله:

كم بودرت غادة كَـعابُ وعُمِّرَتْ أُمُّها العـــــجوزُ

أحْرَزَها الوالدانِ خـــوفًا و القبرُ حِرزٌ لها حَريـــزُ

يجوز أن تُبطِئَ المنايا و الخُلْدُ في الدهرِ لا يَجُوزُ

ثم تأوّه مرات، و تلا: ((إنَّ في ذلكَ لآيةً لمنْ خافَ عذابَ الآخرةِ ذلكَ يومٌ مجموعٌ له الناسُ و ذلك يومٌ مشهودً. و ما نُؤخِّرُهُ إلاَّ لأَجَلٍ معدودٍ. يوم يَأتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاَّ بِإِذنِهِ. فمِنهُم شَقِيٌّ وسَعيدٌ)) [1]. ثم صاح و بكى بكاء شديدا و طرح وجهه على الأرض زمانا، ثم رفع رأسه و مسح وجهه، و قال: سبحان من تكلم بهذا في القدم! فقلت له: يا سيدي، مالي أرى في وجهك أثر غيظ؟ فقال: لا يا أبا الفتح، و لكن أنشدتُ شيئا من كلام المخلوق، و قرأتُ شيئا من كلام الخالق، فلحقني ما رأيتَ، فتحققتُ صحة دينه و قوة يقينه"[2].

ذكر القفطي في انباه الرواة، أنّ محمد بن طاهر المقدسي قد قال: " سمعت الرئيس أحمد بن عبدوس الوفراونديّ بها يقول: سألتُ شيخ الإسلام أبا الحسن علي بن أحمد بن يوسف الهكّاري، عن أبي العلاء بن سليمان التنوخي المعري – و كان رآه – فقال: رجل من المسلمين "[3]. كما ذكر العيدروسي في النور السافر، أن المجد الفيروزأبادي صاحب القاموس، قد قال متحدثا عن معتقد أبي العلاء: " و الناس فيه فرقتان، فمنهم من يكفره و يزعم أنه كان زنديقا، و منهم من هو بضد ذلك. و في ظاهر أشعاره زندقة كثيرة، على أن في شعره ما يدل على التوحيد الصريح، و الاعتقاد الصحيح"[4].

([1])-سورة هود، الآيات:104،103، 105.

([2]) -العباس المكي، نزهة الجليس، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 355 – 356. و الأبيات مما لم يُروى له في ديوانيه.

([3])- القفطي، انباه الرواة، ج 01، ص: 108.

([4])- العيدروسي، النور السافر، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء، ص: 419.

هذا هو موقف الفريق الثاني من القدماء، الذين أنصفوا المعري، فلم يقولوا في دينه، إلاّ الخير كل الخير، لأنهم أدركوا عظمة الرجل، و فطنته، و آمنوا بقوله وبفعله، اللذان لا يحيدان عن طاعة الله الأحد.

- **الموقف الثالث(بين بين): المعري حائر متردد.**

نلمس موقفا ثالثا بين الموقفين؛ بين الموقف الذي كفّر المعري، و حشره في زمرة الذين لا يرعون للإيمان بالله حقا. و بين الفريق الذي راح يدافع عن المُفتَرى عليه في دينه، و يصدّ عنه هجمات المتهمين الحساد. إنه موقف الذين لا يرون كفر المعري، و لا يقولون بإيمانه، لأنهم بقوا حائرين من الرجل و عقيدته، فرأوا فيه ذلك الحائر الذي لا يدري ما يصنع. أيؤمن و يستقر يقينه؟ أم يشكّ، و يمضي في شكه أشواطا و أشواطا؟.

يقول الباخرزي من دون أن يجزم بإيمان المعري أو كفره : " ضرير ما له في أنواع الأدب ضريب، و مكفوف، في قميص الفضل ملفوف، و محجوب، خصمه الألدّ محجوج. و قد طال في ظلال الاسلام آناؤه، و لكن ربما رشح بالإلحاد إناؤه، و عندنا خبر بصره، و الله أعلم ببصيرته، و المطلع على سريرته"[1].

فالباخرزي هنا، لا يكفر المعري، و لا يقول بإيمانه، إنه حائر في أمر الرجل و عقيدته، فأضعف الإيمان عند الباخرزي، أن يتركّ الحكم لله وحده، فهو أعلم بخبايا القلوب، و ما تُكنّه من كفر أو إيمان.

و هذا الصفدي، الذي يرى أنه من المحتمل أن المعري تاب و أناب، بعد ما قاله في لزومياته من أشعار، و التي توحي بزندقته و خروجه عن الطريق القويمة، أبيات يصفها الصفدي بالكثيرة، و ليس فيها حيلة، إذ فيها من القول بالتعطيل و الاستخفاف بالنبوات. يقول الصفدي: " سألت الشيخ فتح الدين بن سيد الناس فقلتُ له: ما كان رأي الشيخ تقيّ الدين بن دقيق العيد في أبي العلاء؟ فقال: كان يقول و هو في حيرة، قلتُ: و هذا أحسن ما يقال في أمره لأنه قال في « لزوم ما لا يلزم»:[2]

([1]) - الباخرزي، دمية القصر، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 08.
([2]) - الصفدي الوافي بالوفيات، ج 07، ص: 66 – 67.

ضحكنا و كان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة أن يبكوا

تُحطمنا الأيام حتى كأنّنـــــــــا زجاج و لكن لا يُعاد لنا سبـــكُ[1]

وقد رد عليه محمد بن أبي نصر اليمني القيرواني الأشعري المتكلم، المعروف بابن أبي كدية، عندما سمع يوما، قائلا ينشد هذه الأبيات للمعري، فقال يرد على أبي العلاء:[2]

كذبت و بيت الله حلفة صـــادق سيسبكنا بعد التوى[3] **من له المـلك**

و نرجع أجساما صحاحا سليمة تعارف في الـفردوس ما عندنا شـك

لم يسلم حكيم المعرة إذن، من انتقادات خصومه اللاّذعة، وقد قالوا في شخصه وشعره أقاويل تأخذ منحى التكفير، ورموه بالإلحاد و الزندقة وإتباعه مسلك البراهمة في المعتقد. ويستند خصوم المعري على أبيات شعر تحويها دفتي ديوانه الشعري المعروف بـ " لزوم ما لا يلزم " مؤكدين بذلك، على صحة ما يذهبون إليه من نقد وشجب لطريقة المعري في حياته، وأفكاره التي ضاقت بها نفوس الحاقدين و الحسّاد، و نفورهم من دعاويه الشريرة كما يزعمون. فهم يرون أن النص الشعري للمعري في لزومياته، ليس كباقي النصوص الشعرية، التي تقال من أجل اللذة فحسب، وإنما هي نصوص تتضمن مقاصد ودعاوي تتوجه إلى متلق [4] . بمعنى أن المعري في شعره يسعى جاهدا إلى توجيه الرأي العام إلى مذهبه في الحياة، وأن يضم إلى فلك تصوراته وأفكاره وفلسفته أنصارا ومّتبعين .عكس ما هو متعارف عليه في قول الشعر، القاضي إلى أن الشعر يُتلذّذ به، وإنما ينظم نتيجة إحساس غريب يعتري نفس الشاعر ويدغدغ فيه المشاعر الفيّاضة بالمعاني الرقيقة و الإحساس المرهف، وبالتالي يكون بذلك هدف الشاعر، التأثير على المتلقي و الاستحواذ على عواطفه والفوز بتعاطفه.

([1]) - أورد الدكتور كمال اليازجي هذين البيتين، في شرحه لديوان لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري على النحو التالي:

ضحكنا، و كان الضحك منا سفاهة، و حق لسكان البسيطة أن يبكوا

يحطمنا صرف الزمان كأنـــــــنا زجاج، و لكن لا يعاد له سـبك

(أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 02، ص: 111).

([2]) - ابن شاكر، فوات الوفيات، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء، ص: 404.

([3]) – التوى: الهلاك، و في الأصل " الثوى".

([4]) - حميد سمير، النص و تفاعـل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري – دراسة - ص:158 .

لقد أشار الدكتور أمجد الطرابلسي إلى أن " مبعث هذه التهم في الأكثر الغالب أمور ثلاثة: أولها مسلك المعري في حياته و نسكه و زهده و ترهبه و امتناعه عن أكل الحيوان و ما ينتجه. و ثانيها كتاب (الفصول و الغايات) و هو كتاب أملاه المعري بأسلوبه المنمّق المعروف في تمجيد الله و حمده. فزعم خصومه أنه أراد به معارضة القرآن.... و ثالثها – و هو الأهم – ديوانه المشهور (لزوم ما لا يلزم) و ما ورد فيه من أقوال لا يخلو بعضها من جرأة و عنف، و نقد قاسٍ لرجال الأديان و أصحاب المذاهب و الطرق، من كل ملّة و طائفة، كما لا يخلو بعضها الآخر من غموض يبعث على التساؤل و الاستفسار"[1].

وقد عبّر المعري عن قلقه واستنكاره لكل ما يقال عليه من أقاويل تمزّق جسده وتنغّص عليه راحته فتجده يقول:

بأيّ ذنب أُخذت فينا؟ لم تجن إلّا كذنب صُحر[2]

فالمعري هنا يتساءل متعجبا ومستفهما عن سبب الأذيّة والاتهام، وعن سبب إطلاق تلك الأحكام الجزافية، على شعره البريء وعلى شخصه المثقل بهموم الدنيا وما حملت، وهذا ما دفع بالمعري إلى القيام على أمشاط أرجله، ونفض غبار الاتهام و الأذية عن ثيابه البالية الرثّة، و محاولة قول رأيه عن كل ما قيل عنه، من خلال كتاب يردّ فيه على مزاعم الطّاعنين، إذ أنشأ كتابا عنونه بـ (زجر النابح)، وهو مؤلف ثابت النسبة إليه، كما ألف أيضا كتابا في الرد على خصومه وسمه بنجر الزجر.وهذا ما أشار إليه كل من ياقوت الحموي وابن العديم .يقول ابن العديم : " وقد وضع أبو العلاء كتابا وسمه بزجر النابح، أبطل فيه طعن المزري عليه والقادح. وبيّن فيه عذره الصحيح ، وإيمانه الصريح ، و وَجْهَ كلامه الفصيح . ثم أتْبَع ذلك بكتاب وسمه بنجر الزّجر، بيّن فيه مواضع طعنوا بها عليه بيان الفجر . فلم يمنعهم زجره ، ولا اتّضح لهم عذره، بل تحقّق عندهم كفره، وتجرؤوا على ذلك وعنّفوا انتصروا له ولاموا، وقعدوا في أمره وقاموا . فلم يرعوا حرمته ولا أكرموا

([1]) - أبو العلاء المعري، زجر النابح - مقتطفات - ، جمع و تحقيق الدكتور أمجد الطرابلسي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1982م، ط 02، ص: 12 .

2 - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم ، ج 01،ص: 455.

علمه، ولا راقبوا إلاًّ ولا ذمة، حتى حكوا كفره بالأسانيد وشدّدوا في ذلك غاية التشديد، وكفّره من جاء بعدهم بالتقليد "[1].

وكذلك يوسف البديعي الذي يشير إلى أنّ كتاب زجر النابح، كتاب ثابت النسبة إلى أبي العلاء المعري بقوله: " وقد ألّف أبو العلاء كتابا في الردّ على من نسبه إلى معارضة القرآن والجواب عن أبيات استخرجوها من نظمه ، ورموه بسببها بالكفر والطغيان. وسمّى الكتاب (زجر النابح)، ردّ فيه على الطّاعن في دينه و القادح"[2].

و قد أشار الدكتور أمجد الطرابلسي في تحقيقه لكتاب زجر النابح إلى مؤرخين آخرين، ذكروا نسبة مؤلّف زجر النابح إلى أبي العلاء المعري، و منهم : القفطي في انباه الرواة، و سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان، و شمس الدين الذهبي في (تاريخ الإسلام)، و ابن فضل الله العمري في (مسالك الأبصار) و الصفدي في (الوافي بالوفيات)[3].

إن مؤلف المعري " **زجر النابح** " متصل أوثق اتصال بديوان شعره (لزوم مالا يلزم)، و هذا ياقوت الحموي يقول في ترجمته لأبي العلاء المعري عن زجر النابح بأنه مؤلّفٌ: " يتعلّق بلزوم ما لا يلزم، و ذلك أنّ بعض الجهّال تكلم على أبيات من لزوم ما لا يلزم، يريد بها التشرّر و الأذية، فألزم أبا العلاء أصدقاؤه أن ينشئ هذا، فأنشأ هذا الكتاب و هو كاره "[4].

كما كتب أبو العلاء رسالة وسمها برسالة الضبعين، بعث بها إلى أمير حلب ثمال بن صالح يشكو فيها، تحريف رجلين لبعض شعره في لزوم ما لا يلزم، غاية إيذائه و إهلاكه، و وضْعِه في موقف حرج. داعيا إياه أن يطّلع على نسخ أصلية و موثقة من الديوان في حلب، مكتوبة بأيدي أمناء أتقياء. يقول المعري في رسالة الضبعين: و في حلب حماها الله، نسخ من هذا الكتاب، بخطوط قوم ثقات يُعرفون ببني هاشم، أحرار نسكة، أيديهم بحبل الورع متمسكة، جرت عادتهم أن ينسخوا ما أمليه. و إن أحضرت – النسخ– ظهرت الحجة بما قلتُ فيه[5].

([1]) - ابن العديم، الإنصاف، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 485.
([2]) - أبو العلاء المعري، زجر النابح، ص: 05.
([3]) - المصدر السابق، ص: 05 – 06.
([4]) - ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 01، ص: 422.
([5])- ابن العديم، الإنصاف، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 526 – 527.

لم يكن خصم أبي العلاء، خصما ظاهرا بائنا، فإننا لا نجد حتى اسمه، أو المؤلَّف الذي ردّ فيه على أبيات المعري، متهما إياه بالزندقة و الكفر، ثم إنّ المعري لم يشر إلى اسم هذا الخصم و لا إلى مؤلَّفه، و لم يذكر لنا مطاعن هذا الخصم، بل إنها مستنتجة من رد أبي العلاء في زجر النابح. فأبو العلاء " إنما كان يرد على خصم واحد بعينه، لا على خصوم كثر، فهو يوجه كلامه إلى هذا الخصم بصورة المفرد دائما...، و يغلب على الظن أنّ خصما لأبي العلاء كتب رسالة يتعقب فيها أقواله في لزوم ما لا يلزم...، و مما يؤسف له أننا لا نعرف شيئا عن هذا الخصم بالذات، و عن الرسالة التي كتبها في الطعن على اللزوميات و صاحبها؛ فأبو العلاء لا يشير في هذه المقتطفات التي بين أيدينا من (الزجر) إلى شيء من هذا. كما أننا لا نعرف مطاعن هذا الخصم و آراءه و أقواله إلا مستنتجة على وجه التقريب من أقوال أبي العلاء نفسه في هذه المقتطفات"[1].

مهما يكن من أمر، فانه لا يجوز لنا أن نحكم على الرجل و عقيدته، فقط الله وحده لا شريك له، من يستطيع الحكم على عباده في مثل هذه الأمور. فليس لنا الحق أن نكفر أبا العلاء المعري، و إن أردنا تبنِّي موقفا، من بين المواقف الثلاثة، فإننا نقول بقناعة عالية؛ أن المعري لم يكن كافرا و لا زنديقا، و حجتنا في ذلك هذه الأمور:

- **أولا:** إن الأبيات التي تدل على حسن عقيدته في ديوانه لزوم ما لا يلزم، و استقامته الدينية أكثر بكثير، من الأبيات التي يرويها له حساده الطاعنون. إذ تُقَدّر الأبيات التي قالها في تمجيد الله، و الاعتراف له بالعظمة، و الجهر بعبادته، و الاجتهاد من أجل بلوغ رضا الله و عفوه، تُعَدُّ بالمئات، بل بالألوف. على عكس الأبيات التي يسوقها الطاعنون، قصد التجريح و التكفير، و التي تعدّ بالعشرات فقط، فهي معدودة جدا، و قليلةً قِلّة اهتمام الطاعنين بالأبيات الشعرية الصريحة، التي تثبتُ صحة عقيدة المعري وإيمانه. إذا تتبعنا أبيات اللزوميات وجدناها تنقسم إلى قسمين: الأبيات الظاهرة البينة في معانيها وأهدافها، والأبيات المتشابهة الغامضة التي تدعو إلى التساؤل. والأبيات الظاهرة الأولى هي الأبيات الغالبة وتشمل أكثر الديوان، وتعد بالمئات والألوف. أما الأبيات المتشابهة فمحدودة جداً لا تتجاوز العشرات. والعجيب أن الأبيات المؤمنة الكثيرة لا يرويها الناس ولا ينقلونها، ولا يكادون يعرفونها، وان

(1) - أبو العلاء المعري، زجر النابح، ص: 14 – 15.

الأبيات المتشابهة هي التي يتداولها الأدباء ويستشهدون بها وحدها في دراستهم تقريبا، ويحفظها الطلاب ويرددها الناس في مجالسهم كلما مر ذكر أبي العلاء المعري. و الغريب في الأمر أيضا، أن هذه الأبيات الصريحة، المُثبتة لحسن اعتقاد المعري الديني، تُضرب عرض الحائط، و كأنّ مُتَّهِمي المعري يتعمدون تجاهلها، و يتناسوا ما فيها من حجة دامغة، خدمة لموقفهم التكفيري، و إشباعا منهم لنزعة اتهام الضعفاء من المؤمنين، في حين يتم التمسك ببيت من الأبيات الموهمة، أو ببيت من الأبيات التي و ضعها خصم من الخصوم، فيبنون عليها موقفهم من أبي العلاء المعري و عقيدته.

كما أن أغلب الأبيات الكافرة التي ينسبونها للمعري، لا وجود لها في ديوانيه، و مؤلفاته النثرية. " و القاعدة، أنّ الأدلة إذا تعارضت تساقطت، فإذا سلمنا أنّ الأدلة، التي تثبت إيمانه متكافئة مع الأدلة التي تنفيه، في القوة و الصراحة و السلامة من الاحتمال، حكمنا بسقوطهما، و وجب علينا أن نلتمس، سبيلا آخر لإيضاح هذه الناحية، و ليس لدينا إلا حياة المعري العملية، و هذا التاريخ يحدثنا، أنه كان صواما قواما، صالحا تقيا زاهدا، طاهر اللسان و اليد و الذيل "[1].

- **ثانيا:** مقدمة لزوميات أبي العلاء المعري، التي يقول فيها: " كان من سوالف الأقضية أنّي أنشأتُ أبنية أوزان توخّيت فيها صدق الكلمة، و نزّهتها عن الكذب و الميط، و لا أزعمها كالسِّمط المُتَّخذ فأرجو ألاّ تحسب من السُّمَيط. فمنها ما هو تمجيد الله الذي شرُف عن التمجيد، و وضَع المنن في كل جيد، و بعضها تذكير للنأَّسين، و تنبيهٌ للرَّقدة الغافلين، و تحذيرٌ من والدتنا الكبرى "[2]. فهو هنا يصرح تصريحا واضحا، من أن الغرض و الهدف الأسمى لتأليفه اللزوميات، هو تمجيد الله سبحانه، و تذكير للغافلين من الناس و تحذيرهم، من الجري وراء حطام الدنيا الفانية، فيخيب سعيهم.

- **ثالثا:** كتاب المعري زجر النابح، الذي ردّ فيه على القادح في دينه، إذ كان المعري يرد على الطاعن، و هو مستشهد بآيات من القرآن الكريم تخدم الموقف، كما يعتمد على ثقافته الواسعة و اطلاعه العميق الشامل على كل ما يمت بصلة الى العلوم الاسلامية و اللغوية، و اعتمد أيضا على معرفته العميقة بأساليب البيان العربي، مؤكدا في تعليقاته أنّه هناك حذف و تحريف، أو أن

([1]) - محمد سليم الجندي، دين أبي العلاء، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 289 – 290.
([2]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص 15.

معنى البيت جاء على سبيل العكس، أو على سبيل العكس،...الخ. ثم إنّ ردوده كانت منطقية، و يقتنع القارئ بها و يستريح لشرح المعري. ثم " إن من يقرأ ردّه يخرج مقتنعا أن قوله (أي المعري) سليم، و أن ما رمي به في اعتقاده لا أساس له، و أن خصمه... ناقص المعرفة بأساليب الكلام، فالشرح يفصل مبدئيا بين التأويلات المفترضة، و يقصي التفاسير المغرضة، و يعيِّن الدلالة الصحيحة "[1]. يقول المعري في زجر النابح، يشرح بيتا من الشعر، اتخذه خصمه دليلا على سوء عقيدة المعري:

يُهنأُ بالخير من ناله و ليس الهناء على ما هنا[2]

يقول المعري في شأن هذا البيت: " فهذا شهادة بالدار الآخرة، و حكمٌ بأن الدار الفانية لا ينبغي أن يُهنَّأ الإنسان بما أعطيَ فيها من خير لأنه زائل. و إنما يجب الهناء، إذا رُفع موتٌ و عناء، و صار من ينال ذلك في غبطة الأبد، و الخلاص من الضيِّق و الكَبَد "[3].

و يقول أيضا، على من اعترض عليه في البيتين التاليين:

أفيقوا أفيقوا يا غواة، فإنّـــــما دياناتكم مَكرٌ من القُـــدمـــاءِ

أرادوا بها جمع الحطام، فأدركوا و بادوا، و دامت سُنَّةُ اللُّؤَماءِ[4]

يردّ أبو العلاء المعري قائلا: " المعنى أن أهل الكتاب كانوا يمكرون بأتباعهم. و في الكتاب العزيز ((و مَكَرُوا و مَكَرَ اللهُ))[5]. و فيه: ((فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً))[6]. و هذا من المكر. و كثيرا ما يقول اليهود في ألفاظهم و حديثهم: ذكر قدماؤنا كذا، و خبّر قدماؤنا ذلك. فبُنِيَ الأمر على هذا النحو"[7].

لم تكن تهمة الإلحاد، التي أتهم بها المعري، قائمة على حجج و أدلة دامغة، و لهذا السبب يجب علينا البحث عن الأسباب التي أدت إلى هذا الاتهام الخطير، الاتهام بالزندقة و الكفر؛ معنى أن المعري – حسب ما يراه الطاعنون – لا يؤمن بالله، بل يكفر به، و بكل ما يمت بصلة للإيمان.

([1]) - عبد الفتاح كيليطو، أبو العلاء المعري أو متاهات القول، ص: 50 – 51.
([2]) – أبو العلاء المعري،لزوم ما لا يلزم،ج 01، ص: 76.
([3]) - أبو العلاء المعري، زجر النابح، ص: 20.
([4])- أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص: 63.
([5]) - سورة آل عمران، الآية 54.
([6]) - سورة البقرة، الآية 79.
([7]) - أبو العلاء المعري، زجر النابح، ص: 12 – 13.

و هذه تهمة خطيرة للغاية، و في هذا يرى الدكتور محمد سليم الجندي، أنه من بين الأسباب: الحسد لأن أبا العلاء أوتي من المواهب الفطرية ما لم يؤته كثير من الناس، و التنطع و التشدد، لأن أبا العلاء انتقد كثيرا من المزاعم التي كان يعتقدها بعض الناس في زمانه، و الطموح إلى الظهور، إذ انتقده البعض من أجل الظهور، ومن أجل أن يقال عنه: انتقد أبا العلاء المعري[1].

هكذا اتفقت كلمة الحساد و المتشددين و الطامحين إلى الظهور باسم أبي العلاء المعري، على تكفيره. و لكنهم اختلفوا في طرق و أساليب التكفير؛ فمنهم من كفره بما لا يوجب التكفير، و منهم من نسب إليه أبياتا هو بريء كل البراءة منها، ومنهم من حرّف أقواله عن مواضعها، ومنهم من قذفه بالكفر و العصيان بغير سبب و لا مناسبة تُذكر.

ومن هؤلاء ياقوت الحموي الرومي، الذي روى لأبي العلاء المعري بيتين يرى فيهما ، دليلا قاطعا على إلحاد المعري:

اللاذقية فتنة ما بين أحمد و المسيح

هذا يعالج دلبة و الشيخ في حنق يصيح

و هذه الأبيات لم يروها، إلا ياقوت الحموي ، فانفرد بالرواية، فلم يأت ذكرها في المصادر الأخرى، التي اهتمت بترجمة أبي العلاء المعري، ثم إن المتصفح لصفحات اللزوميات، لا يجد لها أثرا و لا ذكرا[2].

ومن هؤلاء أيضا، نجد القفطي الذي رمى أبا العلاء بالإلحاد و الزندقة، مستندا في ذلك إلى أبيات موهومة، لم يرد ذكرها في ديواني المعري، و الأبيات هي:

صرف الزمان مفرق الإلفين فاحكم إلهي بين ذاك و بيني

أنهيت عن قتل النفوس تعمدا و بعثت أنت لقبضها ملكين

و زعمت أن لها معادا ثانيا ما كان أغناها عن الحالين

و الأبيات مما لم يُرو في ديواني المعري.

كما تروى له أيضا الأبيات التالية:

ما بال ذا الحيوان يؤكل لحمه و يقد جلدته و يهشّم عظمه

([1])- محمد سليم الجندي، دين أبي العلاء، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص:280 – 281.

([2])- المصدر السابق، ص: 282.

إن كان ذا أكل فأكلك أكـــلك أو كان ذا شرب فشربك شـربـــه

قل للمريق نجيعه من نـحره ما شأنه ما ذنبه ما جرمـــــــه

الله يقتص الجرائم كـــــلهـــا و يعيدها في نحر من ذا دأبـــه

و الأبيات أيضا مما لم يرو له في ديوانيه. يعتمد القفطي على أبيات شعر واهية، إنه يقوّل المعري ما لم يقله. " و الغريب أن تأتي هذه الأبيات على لسان أبي العلاء، و فيها خطأ في الروي، و هو أستاذ التصنّع الذي كان يلهو بهذه البضاعة في لزوم ما لا يلزم! و هذا ما يرجح أنّ قائلها شويعر صغير، أراد الطعن في دين المعري"[1].

بناء على ما سبق عرضه، و على أساس بعض الأمور المتعلقة بحياة المعري، و التي مر الحديث عنها، نذهب مذهب الذين يحسنون الظن في أبي العلاء المعري، فلا مجال لتكفير أبي العلاء المعري، لأن " الذات التي تعبر عنها اللزوميات، ليست هي ذات المعري حقيقة، بدليل أن للمعري شخصية أخرى واقعية، لا تمت بأي صلة للشخصية الحائرة و الساخرة، التي تصورها نصوص اللزوميات"[2]. و هو نفسه الذي لم يترك لنا مجالا للشك في عقيدته. إنه المؤمن المفترى عليه، إنه المؤمن المظلوم في حياته، حتى طالته ألسنة الحساد و النابحين، وهو في قبره. و لعل خير دليل على صحة عقيدته ما جاء في لزومياته، و المليئة بأبيات تمجد الله و تؤمن به، وتؤمن برسله و كتبه و ملائكته و بالبعث و النشور.

(1)- شوقي ضيف، الفن و مذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، د ت ، ط 06، ص: 283.
(2)- حميد سمير، النص و تفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري، ص: 153.

المبحث الثالث:

إيمان المعري من خلال اللّزوميات:

يستحسن بنا أن نفصّل في الأمر أكثر، فنتحدث على كل واحد من هذه الأمور على حدة: الإيمان بالله و كتبه و رسله و ملائكته و يوم البعث و النشور.

- **الإيمان بالله و عظمته:**

يؤمن المعري بالله الواحد الأحد، فلم يشك أبدا في وجوده، بل كان إيمانه به مطلقا، لا تشوبه شوائب، و لا تعتريه شكوك. " إنّ المعري كان مؤمنا بالله، لا شك في ذلك، إذ ليس في كتبه كلها، إلا ما هو دعوة واضحة جازمة إلى الإيمان بالله، و سلطان الله على المخلوقات كلها "[1]. و هو الذي يقول مقرا بوجود الله، و أنه لا يجحد وجوده، و يعترف له بالقوة كل القوة. يقول أبو العلاء المعري :

تعـــــالى الله، كم ملك مهيب تبدل بعد قصر ضيـق لحد
أقرّ بـــــأن لي ربا قديـــــرا و لا ألْقى بدايعه بـجحـــد
بوحدانية العـــــــــلام دنّـــا فذرني أقطع الأيام وحـــدي[2]

و يقول أيضا:

للمليك المذكرات عبـــــــــيد و كذاك المؤنثات إمـــــــــاء
فالهلال المنيف و الـــبدر و الفر قد و الصبح و الثرى و المـــــاء
و الثريا و الشمس و النار و النثـ رة و الأرض و الضحى و السمـــاء
هذه كلها لربك مـــــا عـــــا بك في قول ذلك الحـكمـــــــاء
خلني يا أخيّ استغـــفر الـــلـه فلم يبق فيّ إلا الـــذّمـــــــــاء[3]

و يقول أيضا:

إذا كنتَ بالله المهيمن واثقا فسلّم إليه الأمر في اللفظ و اللحظ
يدبرك خلاق يدير مقـــادرا تُخطيك إحسان الغمائم أو تُحـظي[1]

([1]) - عمر فروخ، حكيم المعرة، ص: 09.
([2]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص: 313- 314.
([3]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 58.

فالمعري " مؤمن بوجود الله، و إيمانه هذا إيمان فطري...، إنّ المعري يبرهن على وجود الله، عن طريق النظر و التأمل في الموجودات، و إدراك ما فيها من نظام و ترتيب محكم، مما يدل على أن وراء هذا النظام، و جود خالق منظم حكيم "[2]، و هو الذي يقول:

فلك يدور بحكمة فله بلا ريب مدير[3]

و يقول متبرِّئا من الملحدين و أقوالهم:

لا ريب أن الله حقٌ، فلتعـــد باللوم أنفسكم على مرتـــــابها

و غدت عقولكم تعاتب أنفسا ليست تُريع لنصحها و عتابها[4]

المعري ينزّه الخالق، و يذكره بصفات الكمال، و ينهر الملحد الذي أنكر وجود خالق أحد. يقول المعري:

إذا كنتَ من فرط السفاه مُعطِّلاً، فيا جاحد اشهد أنني غير جاحد

أخافُ من الله، العقوبة آجـــلا، و أزعم أن الأمر في يدِ واحـــدِ[5]

و يقول مكبرا الله، و يشهد له بالأزلية و الدوام:

و الله اكبر لا يدنو القياس له و لا يجوز عليه كان أو صـــارا[6]

كما يقول أيضا:

إلهنا الله ملك أوّل أحـد تطيعه من صنوف الناس آحاد[7]

و قوله:

انفرد الله بسلطانـــــه فما له في كـــل حال كـــفاء

ما خفيت قدرته عنكم و هل لها عن ذي رشاد خفاء[8]

([1]) - المصدر السابق، ج 02، ص: 16.
([2]) - كامل حمود، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية، ص: 155.
([3]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص: 391.
([4]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 141-142.
([5]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 299.
([6]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 418.
([7]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 271.
([8]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 67.

و يقول ناصحا، و محذرا المؤمنين بالله الواحد الأحد، من مغبة الوقوع فيما لا يرضي الله، و محذرا من غرور الدنيا الزائلة:

فلا تتركن ورعا في الحياة و أدِّ إلى ربّك المفـــــترض

فكم ملك شيّد المَكرُمـــات و نال بها الصِّيت ثم انقرض[1]

إستنكر المعري الكفر و الزندقة، و هاجم الذين يشُكُّون في وجود الله، و لا يعجبه اختلاف الناس في مثل هذه الأمور، خاصة عندما يتعلق الأمر بوجود الله من عدمه، و يتضح ذلك من قوله:

الناس مختلفون: قيل المرء لا يُجزى على عمل، و قيل يُجـازى

و الله حقٌ،من تدبّـــر أمـــره عرف اليقين، و آنـــس الإعجـازا[2]

و قوله أيضا:

و الله حقٌ، و إن ماجت ظنونكم و إنّ أوجب شيءٍ أن تُراعوه[3]

إيمان المعري بالله إيمان وجداني، و اعتقاد فطريٌ بوجود قوة تحكم هذا العالم، و تسيطر في مجريات أحداث الزمان، ثم إنّ " إيمان أبي العلاء ليس موضع شك أو شبهة، و إن كانت هناك بعض الأفكار التي خالف فيها بعض علماء الكلام، و اتفق فيها مع بعض الفلاسفة، فهي في مجملها أفكار لا تعدو أن تكون وليدة الظن و الحدس، و ليست وليدة الحقيقة و اليقين"[4]. فالمعري يقتنع اقتناعا فطريا بوجود خالق أزلي، ذو قوة متين، بيده زمام الأمور، الله عند المعري قوة قاهرة، و مصدر هذا العالم و المسيطر عليه. و هو بذلك ينفي أن نحشره في زمرة الجاحدين بقوله:

أُثبت لي خالقا حكيما و لست من معشر نُفاةٍ[5]

ينفي المعري أن يكون من الذين ينفون وجود الله، فهو يقر بإيمانه العميق بحكمة الخالق، و مثبت لها، إنّه " وطيد الإيمان بالله مطمئنٌ إلى إيمانه هذا. و لكنه لا يحاول أن يعرف الله، من طريق علماء الكلام و لا بالجدال، و إنما اكتفى بما جاء في القرآن الكريم من صفات الله...، و لا ترى

([1]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 611.
([2]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 526- 527.
([3]) - المصدر السابق، ج 02، ص: 490.
([4]) - د. عبد القادر زيدان، قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، 2004م، ج01 ، ط 01، ص: 93.
([5]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 187.

المعري يتكلّف البراهين على وجود الله، لأنّه لم يشكّ فيه؛ و مَن لم يشكّ في شيءٍ فليس بحاجة إلى أن يأتيَ بالأدلة على وجوده "[1].

و قوله أيضا:

قالوا، فلما أحالوا أظهروا لَـــــــدَدًا فالقول مين، و في الأصوات تنديد

ضلّوا عن الرّشد، منهم جاحد جحدٌ، أو من يحُدُّ؛ و هل لله تحـــــديد؟[2]

و قوله:

أما الإله، فأمر لســـــت مدركه، فاحذر لجيلك، فوق الأرض إسخاطا[3]

المعري في هذا البيت الأخير يقرّ، بأنه جاهل لِكُنْهِ الله و صفاته، و لكنه لا ينكر وجوده، لأنّ الذي يعلم بوجود الله، ليس منكرا لوجوده، فالعلم بوجود شيء إثبات لوجوده، فقط المعري يجهل صفات الله و كُنهِه، و هذا ما ليس باستطاعة عقول البشر الإحاطة به، و هاهو الدكتور طه حسين يوضح معنى البيت، فهو يرى أن معنى هذا البيت، لا ينبغي أن يفهم من ظاهر البيت، كما أن أبا العلاء يجهل كنه الإله و حقيقته، و لا يستطيع أن يحدده تحديدا منطقيا، لأنّ الحقيقة المنطقية لله عزّ و جلّ، لا يمكن أن تُفهم و لا أن يعرفها العقل معرفة مفصلة، على ذلك لا بأس عليه أن يعلن جهله حقيقة الله ما دام يعلن علمه بوجوده. [4]

يتعجب أبو العلاء المعري أشد العجب من الأطباء، الذين درسوا علم التشريح، وما رأوه من إبداع الخالق، في خلق الإنسان، خلق كله دقة و إتقان، ومع ذلك ينكرون وجود الله، الصانع المتقن و المبدع في خلقه، يقول المعري متعجبا:

عجبي للطبيب يلحد في الخالق، من بعد درسه التّشريحـــا[5]

وللمعري أبيات شعر أخرى، في تمجيد الله و حمده، لا يمكن ذكرها كلها هنا، فلا تسمح طبيعة البحث بذلك، نكتفي بهذا النزر القليل، فبعد عرضنا لما شاء الله عرضه، من الأبيات الدالة على حسن إيمان المعري بربه، لا أظن أن الطاعن في دين أبي العلاء المعري، يجد فرصة ينفذ من

([1]) - عمر فروخ، حكيم المعرة، ص: 101.
([2]) - أبو العلاء المعري، ج 01، ص: 269.
([3]) - المصدر السابق، ج 02، ص: 08.
([4]) - طه حسين تجديد ذكرى أبي العلاء، ص: 255.
([5]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص: 237.

خلالها، للطعن مرة أخرى في عقيدة الرجل و دينه. فالأبيات المعروضة صريحة واضحة الدلالة، شفافة لا غبار عليها، أبيات تنمّ عن إيمان صاحبها بالله الواحد الأحد. و نحن نذهب ما يذهب إليه عبد الفتاح كيليطو، حين يقول: " إنّ المعري يستحق المغفرة، لأنه يقر بما لا يدع مجالا للشك، أن كلام الخالق فوق كل كلام، و أنه يتعدى قدرة المخلوق "[1].

- **الإيمان بالملائكة و الجن:**

يثبت المعري و يقر وجود الملائكة و الجن، فهو مؤمن بهذه المخلوقات النورانية و النارية، و لأن للمعري في لزومياته أبياتا كثيرة تدل على إيمانه بهذه المخلوقات، كقوله:

ومن يُطهِّر بخوف الله مهجته، فذاك إنسان قومٍ يشبه المَلَكَا[2]

و قوله:

و لست كموسى أهاب الحِمام، و لكـــن أود لقاء الملك[3]

وقوله:

ملائك تحتها إنس و سائمة، فالأغبياء سوام، و التقيُّ ملك[4]

و قوله:

ثلاث مراتبٍ: ملك رفيـــــع و إنسان، و جيل غير انــس

فان فعل الفتى خيرا، تعالى إلى جنس الملائك خير جنس[5]

و لكن الدكتور عمر فروخ، يرى أن المعري لم يكن يؤمن بهذه المخلوقات النورانية و النارية، " فللمعري في هذه كلها رأي صريح؛ إنه يرفضها و لا يقبل الأخبار الواردة في شأنها و لا يعتقد بوجودها. ثم هو يلوم من يعتقد بها"[6]. و حجته في ذلك قول المعري:

قد عشتُ عمرا طويلا ما علمتُ به حسّا يُحَسُّ لجنِّيٍّ و لا مَلَكٍ[7]

([1])- عبد الفتاح كيليطو، أبو العلاء المعري أو متاهات القول، ص: 38.
([2]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 02، ص: 123.
([3]) - المصدر السابق، ج 02، ص: 144.
([4]) - المصدر السابق، ج 02، ص: 137.
([5]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 575.
([6]) - عمر فروخ، حكيم المعرة، ص: 103.
([7])- أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 02، ص: 132.

و قوله أيضا:

فاخش المليك، و لا توجد على رهب، إن أنت بالجن في الظلماء خُشِّـيتا

فإنّما تلك أخـــبار ملـــفـــــــقة، لخدعة الغافل الحشويِّ، حوشيتا[1]

كما يذهب الدكتور كمال اليازجي نفس ما ذهب إليه عمر فروخ، ، فاليازجي يؤكد بأن المعري لا يؤمن بهذه المخلوقات، و يرفضها رفضا قاطعا[2].

و نحن نذهب إلى القول بأن المعري كان مؤمنا بها، وما الأبيات التي ذكرناها سابقا إلا دليلا قاطعا، على إيمان أبي العلاء بالملائكة و الجن و الشياطين، ثم إن رأي الأساتذة الأفاضل، حول الأبيات السابقة – و نحن نحترم رأيهم – رأي قاسٍ نوعا ما، ألا نلمس في تلك الأبيات خيط يقين بوجود هذه المخلوقات؟ فالمعري في البيت الأول لا يعلم بوجودها، و الإقرار بالجهل و عدم العلم بوجودها، ليس إقرارا منه بالإنكار و النفي، بل إنه يقر بوجود الملائكة و الجن، بإعلانه غياب العلم بها عنه. وفي البيت الثاني عندما يطلب الخشية من الجن، يقر بوجود مثل هذه المخلوقات، لأننا لا نطلب الخشية من شيءٍ نعلم أنه غير موجود، فالخوف ينتابنا عند تيقننا من وجود مصدر الخوف و الرهبة، فخوفنا دليل عل وجوده.

- **الإيمان بالكتب و الرسل:**

المتصفح لصفحات اللزوميات للمعري، يجد رأي المعري في الأنبياء و الرسل، و الشرائع الدينية. هذا الرأي الذي يلمس فيه القارئ نوعا من التذبذب إن صح التعبير، أو شيئا من الغموض في موقف الرجل إزاء الرسل و الديانات. إذ تراه تارة، ذلك المهاجم الشرس على الأنبياء و ما يدعون إليه، و تارة أخرى، ذلك المدافع عن الأنبياء و الكتب السماوية.

و قد ذهب الكثير من الباحثين و الدارسين، المهتمين بأبي العلاء المعري و تراثه الفكري و الأدبي، إلى القول أن أبا العلاء، قد هاجم الأديان و الشرائع بكل شراسة، و من دون أي تردد، فالدكتور عمر فروخ مثلا، يرى أن المعري يذهب مذهب إخوان الصفا، و " يعتقد أن جميع الشرائع

([1]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 176.

([2]) - كمال اليازجي، أبو العلاء و لزومياته، ص: 561.

من صنع البشر، إن المعري لا يرى أن ثمة سببا بين السماء و الأرض، و لا صلة شخصية بين الخالق و المخلوق "[1].

كما يرى الدكتور كمال اليازجي، أن المعري قد رفض النبوات و كذّب الرسل، لأن له أقوال صريحة تؤكد ذلك[2]. و يستشهد اليازجي بقول المعري في رفض الديانات:

و كم شاهدت من عجب و خطب، و مرُّ الدهر بالإنسان يُسْلي

تغيّر دولة وظهور أخـــــــرى و نسخ شرائع، و قيام رسل[3]

" فهو يرى أن توالي الشرائع، قد زعزع الإيمان عند الناس، و إن كل ما في الكتب الدينية حديث خرافة"[4].

و في تكذيب الرسل يستشهد اليازجي بقول المعري:

و لا تحسب مقال الرسل حقا و لكن قول زور سطّروه

و كان الناس في عيش رغيد فجاءوا بالمُحـــال فكدّروه[5]

أما الدكتور ميخائيل مسعود، فانه يرى أن أبا العلاء كان يهاجم الأديان، رغم أنه يؤمن بالله الواحد الأحد. يقول ميخائيل مسعود: " كان يهاجم الأديان كلها، لأنه فلسف الأمر و أخذه على محمل العقل، متسائلا تعدد الطوائف و المذاهب ما دام الله واحدا "[6].

و الحقيقة، أن المعري حسب ما تخبرنا به أبيات أخرى في اللزوميات، لم يكن ذلك المتهجم على الديانات و الرسل، بل كان مدافعا عنها و عن رسلها.

نحن إذن، أمام أمرين؛ المعري المؤمن بالديانات و الرسل، إذ تراه ينبه العامة و يدعو الناس إلى إتباع الرسل و ما يدعون إليه، و المعري الذي يهاجم الديانات و رسلها.

في اللزوميات، أقوال كثيرة للمعري تدل على صفاء إيمانه بالديانات و الرسل، فهو الذي يقول:

و موّه الناس، حتى ظنّ جاهلهم أنّ النبوة تمويه و تدليسٌ[7]

([1]) - عمر فروخ، حكيم المعرة، ص: 105.
([2]) - كمال اليازجي، أبو العلاء المعري و لزومياته، ص: 606.
([3])- أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 02، ص: 234.
([4]) - كمال اليازجي، أبو العلاء و لزومياته، ص: 607.
([5]) – و البيتين مما لم يرو لأبي العلاء المعري في ديوانيه.
([6]) - ميخائيل مسعود، أدباء فلاسفة، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، 1993م، ط 01، ص: 225.
([7]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص: 552.

فهو يصف الذي يعتقد أن النبوة تمويه و تدليس بالجهل و الظلال. ففي هذا البيت إقرار بالنبوة و اعتراف منه بأهميتها في تسيير شؤون البشر.

فعندما يقول المعري:

إن الشرائع ألقت بيننا إحنا و أودعتنا أفانين العداوات[1]

لا يريد من قوله هذا، التجريح في الدين و الشرائع الدينية نفسها، بل يقصد بقوله هذا، أنصار و أتباع المذاهب، و الشرائع المختلفة الذين يتناطحون فيما بينهم، مخلفين بذلك العداوات و المحن و الأزمات.

و من أقواله الدالة على حسن إيمانه بالديانات و الرسل، قوله:

و الأرض للطوفان مشتاقة، لعلّها من درن تغســـــل

قد كثر الشرّ على ظهـرها، و اتُّهم المُرسِلِ و المُرسَلُ[2]

و في أبيات أخرى، تجده يتمنى لو أن في يده زمام الأمور، و لو أن له قوة و سلطة، كي يعاقب الذين طغوا، و عارضوا الديانات و الرسل، و الذين أنكروا حقيقة الديانات السماوية، يقول في ذلك:

قالت معاشر: لم يبعث الــهكم، إلى البرية عيساها و لا مـوسى

و إنما جعلوا، للقوم مأكـــلة، و صيّروا دينهم للملك ناموسا

و لو قدرتُ لعاقبتُ الذين طغوا، حتى يعود حليف الغيِّ مرموسا[3]

فهو يرى أن الذين ينكرون، نبوة سيدنا عيسى و سيدنا موسى عليهما السلام، لهم في ظلال و جهل.

و يقول المعري معلنا أنه، من بين الذين يؤمنون بنبوة خير خلق الله، محمد صلى الله عليه و سلم، النبي الذي جاء بالحق ليهذب البشرية، و ليهديها إلى سبيل الرشاد، و يتضح ذلك من قول أبي العلاء:

جاء النبيُّ بحق، كي يهذبكم فهل أحسّ لكم طبعً بتهذيب؟[4]

و يقول في مدح النبي محمد صلى الله عليه و سلم:

([1]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 186.
([2]) - المصدر السابق، ج 02، ص: 173.
([3]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 559.
([4]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 135.

دعاكم إلى أعلى الأمور محمـــــد، و ليس العوالي في القنا كالسوافل

حداكم على تعظيم من خلق الضحى و شُهْب الدجى من طالعات و آفل

و ألزمكم ما ليس يُعجز حَـــملـــه أخا الضعف من فرضٍ له نوافـــل

و حثّ على تطهير جسم و ملبس و عاقب في قـذف النساء الغوافل

و حرم خمرا خلت ألباب شربـــها من الطيش ألباب النعام الجوافـل[1]

فالمعري مؤمن بالديانات و الرسل، و لعل الأبيات التي استشهدنا بها أعلاه، تدل دلالة صريحة على ذلك. " فإنا لم نحكم لأبي العلاء بصحة إيمانه بالرسل و النبوات، إلا من أقواله المثبتة لذلك، المصرحة به. فلا ريب في أن ما يوهم في ظاهره نقيضها من أقواله الأخرى، مؤول بما يحتمله لفظه؛ و كثير منها لم يرد به الطعن على الأديان نفسها، بل أراد أهلها و منتحليها، لتفريطهم فيها أو إفراطهم "[2].

و الأبيات التي اعتمد عليها القائلون، و الدالة – حسب رأيهم – على أن المعري أنكر النبوات و الشرائع الدينية، إنما هي – حسب رأينا– أقوال وضعت على ألسنة من ينكرون الرسل و لا يؤمنون بالديانات السماوية، و كأني بالمعري، يريد بسط آراء بعض الذين ينكرون الديانات و يجحدون الرسل في شعره، دون أن يوضح ويقول، هذا رأي المنكرين للنبوات، أو ما شابه ذلك. " فالمعري لم يهاجم الديانات كما رأى البعض، و إنما هاجم أصحابها، و فرقٌ أن يهاجم الإسلام و المسيحية و اليهودية، و أن يهاجم المسلمين و النصارى و اليهود، فقد اختلف أصحاب كل دين، و تفرّقوا فرقا "[3]. ثم إنّ المعري " لم ينكر النبوة و لم ينتقد الرسل، بل إنه يعرِّض بآراء الناس و استنتاجاتهم الخاطئة، و ينتقد أعمال أتباع هذه الأديان. فأبو العلاء يعتقد أنّ رؤية الناس إلى الدين ليست صحيحة"[4].

([1]) - المصدر السابق، ج 02، ص: 211.

([2]) - أحمد تيمور باشا، المعري نسبه و أخباره، ص: 158.

([3]) - سناء خضر، النظرية الخلقية عند المعري بين الفلسفة و الدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، د ت، د ط، ص: 213.

([4]) - محمد فاضل، مقالة بالفارسية تحت عنوان " يادي از أبو العلاى معرى "، ص: 126، من مجلة " دانشكده أدبيات و علوم انسانى مشهد ". نقلا عن: تغريد زعيميان، الأراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري و عمر الخيام، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2003م، ط 01، ص: 195.

- **الإيمان بالبعث و النشور:**

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: **((و قالوا أَءِذا كُنّا عظامًا و رُفاتا أَءِنّا لَمَبعوثون خلقًا جديدًا))**[1]. و يقول أيضا: **((يا أيُّها النَّاسُ إنْ كُنتم في ريبٍ من البَعثِ، فإنَّا خَلقناكم من ترابٍ))** [2].

لقد كانت قضية البعث و النشور، من بين أهم المسائل التي اهتم بها الباحثون و الدارسون، لتراث أبي العلاء المعري. اهتم بذلك القدماء منهم و المحدثون، فتباينت أرائهم حول إيمان أبي العلاء بالبعث من عدمه. و نحن هنا، سنحاول عرض بعض الانتقادات و التعليقات، التي قدمها القدماء و المحدثون، حول أقوال المعري في البعث و النشور. و سنحاول بين الفينة و الأخرى، تقديم رأينا حول هذه المسالة الحساسة.

نبدأ باستعراض آراء القدماء، و الذين يمثلهم كل من ياقوت الحموي و ابن الجوزي، ومن حذا حذوهما. فقد ذهب ياقوت الحموي إلى القول بأنّ أبا العلاء المعري " كان متهما في دينه، يرى رأي البراهمة، فلا يرى إفساد الصورة، و لا يأكل لحما، و لا يؤمن بالرسل، و البعث و النشور "[3].

كما ذهب ابن الجوزي إلى القول، بأنّ المعري يجحد البعث، حين يقول: " و قد رماه جماعة من العلماء بالزندقة و الإلحاد – وذلك أمر ظاهر في كلامه و أشعاره – و أنه يردّ على الرسل، و يعيب الشرائع، و يجحد البعث "[4].

يتضح من خلال قولي الحموي و ابن الجوزي، أن أبا العلاء المعري كان برهميا، و جاحدا بالبعث و النشور، و لكننا نجد المعري يسخر من اعتقاد البراهمة، و يحذر من أفكارهم المتطرفة، التي ليس لها أساس عقلي، حين يقول في البراهمة:

يقولون: إنّ الجسم تُنقل روحُه إلى غيره، حتى يهذبها النقل

فلا تقبلنْ ما يخبرونك ضِلّـــةً إذا لم يؤيِّد ما أتوك به العقلُ[5]

([1]) - سورة الإسراء، الآية 98.
([2])- سورة الحج، الآية 05.
([3]) - ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص: 407.
([4]) - ابن الجوزي، المنتظم، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 19.
([5]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 02، ص: 150.

فعلى أساس هذين البيتين، ننفي أن يكون المعري برهميا، فلا يعقل أن يسخر الرجل من مذهبه أو معتنقه، فلو كان المعري برهميا حقا، لما قال في لزومياته هذين البيتين من الشعر.

أما قضية كفر المعري بالبعث، فإنّ القدماء يعتمدون على أبيات شعر قالها أبو العلاء – حسب زعمهم – ومن هذه الأبيات ما رواه الحموي في معجم أدبائه:

صرف الزمان مفــرق الإلفين فاحكم الهي بين ذاك و بيـني

أنهيت عن قتل النفوس تعمدا و بعثت أنت لقتلها ملكيـــن

و زعمتَ أن لها معادا ثانيــا ما كان أغناها عن الحاليـــن!![1]

و روى له أيضا أبياتا يستدل بها، على سوء إيمان المعري بالبعث و المعاد:[2]

ضحكنا و كان الضحك منا سفاهة و حق لسكان البسيطة أن يبكوا

تُحطمنا الأيام حتى كأننـــــــــا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبـــك[3]

يقول الدكتور سليم الجندي معلقا على هذا البيت الثاني، و نافيا أن يكون المعري منكرا للبعث: " جعلوا البيت دليلا على إنكاره الحشر. و من البديهي أنه يريد بهذا البيت أننا ضعاف كالزجاج، يسهل تحطيمه و لكن بيننا و بينه فرق، و هو أن الزجاج إذا حُطم في الدنيا أمكن أن يسبك فيعود إلى ما كان عليه فيها، و لا يريد السبك في الآخرة "[4].

كما روى له أبو الفداء في المختصر في أخبار البشر الأبيات القائلة:

زعموا أنني سأبعث حيـــا بعد طول المقام في الأرمــاس

و أجوز الجنان أرتع فيها بين جور و ولــدةٍ أكـــــياس

أي شيء أصاب عقلك يا مسكين حتى رُميت بالوسـواس[5]

كما نجد لأبي العلاء المعري ردا في زجر النابح، على متهمه في البيت الذي يقول فيه المعري:

([1]) - ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص: 430 – 431. و الأبيات لم يرد ذكرها في ديواني المعري.

([2]) – المصدر السابق، ص: 430.

([3]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 02، ص: 111. تحطمنا الأيام: وردت في شرح كمال اليازجي؛ يحطمنا صرف الزمان.

([4]) - محمد سليم الجندي، دين أبي العلاء ، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 292.

([5]) - إسماعيل أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص: 187. و الأبيات لم يرد ذكرها في ديواني المعري.

و الشخص مثل اليوم يمـــ ضي في الزمان و لا يعود[1]

يقول أبو العلاء رادا على خصمه، في شأن هذا البيت: " هذا كلام محمول على إرادة مستثنى، كأنه لا يعود إلا إذا شاء الله، أو لا يعود إلى الدنيا. و ذلك كما قال قس بن ساعدة: " مالي أرى الناس يمضون فلا يرجعون. أرضوا بالإقامة فأقاموا أم تركوا فناموا؟ " و لم يكن قس و من يأخذ بقوله من العرب غير مصدقين بالبعث. إنّما أراد قس أنهم لا يرجعون رجوعا قريبا أو لا يرجعون إلا يوم القيامة، أو نحو ذلك "[2].

فالمعري ينفي أن يكون، قد قصد في هذا البيت الشعري إنكار البعث، بل أوضح معنى قوله و أبانه، و خلاصة معنى البيت – على حد تعبير المعري و إيمانه – هو أن الذي يموت لا و لن يعود، و لم يقصد بالعودة هنا، العودة في الآخرة، بل في الدنيا.

أما المحدثون، فإنهم يرون أن أبا العلاء المعري، يتخبط في شك و حيرة، فليس منكرا للبعث إنكارا قاطعا و واضحا، إنما وقف هائما، حائرا من مسألة البعث و النشور. يقول الدكتور طه حسين: " إن الروح الفلسفي لأبي العلاء في الطبيعيات و الرياضيات يوناني خالص، و أنه في الإلهيات يوناني كثيرا، و إسلامي قليلا، فهذا الروح الفلسفي يثبت لنا أن أبا العلاء، إن لم يكن قد أنكر البعث إنكارا تاما، فقد شكّ فيه شكا شديدا "[3]. معتمدا في حكمه هذا، على أبيات إستشهد بها، كقول أبي العلاء:

و إن صدئت أرواحنا بجسومنا فيوشك يوما أن يعاودها الصقل[4]

و قوله:

دفناهم في الأرض دفن تيقّنٍ و لا علم بالأرواح غير ظنون[5]

و قوله:

أما الجسوم فللتراب مآلها، و عييتُ بالأرواح أنّى تسْلُكُ[6]

([1]) - أبو العلاء المعري ، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص: 281.
([2]) - أبو العلاء المعري، زجر النابح، ص: 44.
([3]) - طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، ص: 274.
([4]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 02، ص: 150.
([5]) - المصدر السابق، ج 02، ص: 440.
([6]) - المصدر السابق، ج 02، ص: 118.

فالمعري حائر شاك في أمر البعث و النشور، يقول و هو في " حيرة كما كان الذين جحدوا البعث من قبله في حيرة أيضا. نستغفر الله! بل إنّ أكثر الذين جحدوا البعث من قبله، لم يكن لهم عقله و ذكاؤه و نفوذ بصيرته "[1].

كما يذهب إلى ذلك أيضا الدكتور علي كنجيان خناري، حين يقول: " يبدو المعري في كثير من أشعاره من المؤمنين بالبعث و الحساب، و نجده في أماكن أخرى ينكره و يعتبر الإيمان بالبعث و النشور ضربا من السفاهة، و هو في حالة الإيمان بالبعث يرفض المعاد الجسماني. و ما أكثر ما يظهر المعري شاكا في أمر البعث محتارا فيه "[2].

و يستشهد علي كنجيان خناري، بعدد من الأبيات، كقول المعري:

إذا افتكر الإنسان في أمر دينه بدا نبأ يثنى الحِجى و به كبتُ

و هل خبرً عن أنفسٍ بانَ وفْدهَا إلى الله، معمور بأجسامها الخبتُ[3]

و قوله:

ما أطيب الموتَ لشرّابه إن صحّ للأموات وشْك التقاء[4]

فهو يرى أن المعري، يقول موقفه من البعث، بشك يقارب الإنكار[5].

و يشارك الدكتور صالح أليظي، طه حسين و علي كنجيان خناري، و يضم رأيه إلى رأيهما، حول موقف أبي العلاء من البعث و النشور، حيث يقول أن المعري " يسبح في بحار الشك و القلق، بل يدرك أحيانا سواحل النكران، المعطل للبعث و الثواب و العقاب"[6]، مستشهدا بالأبيات التي يقول فيها المعري:

و البخت في الأولى أنالَ العلى و ليس في آخرةٍ بختُ

كذلك قالوا، و أحاديثهم يَبِينُ فيها الجزل و الشّختُ

لو جاء من أهل البِلى مخبر سألت عن قوم و أرّختَ

هل فاز بالجنّة عمّالها، و هل ثوى في النار نوبختُ؟

([1]) - طه حسين، مع أبي العلاء في سجنه، دار المعارف، القاهرة، د ت ، د ط ، ص: 35 – 36.

([2]) - علي كنجيان خناري، مصادر ثقافة أبي العلاء المعري، ص: 218.

([3]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص: 160. يثنى الحجى: يرد العقل. الكبت: الإضطراب.

([4]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 67.

([5]) - علي كنجيان خناري، مصادر ثقافة أبي العلاء المعري، ص: 218.

([6])- صالح حسن أليظي، الفكر و الفن في شعر أبي العلاء، دار المعارف، الإسكندرية، د ت، د ط، ص: 152.

و الظلم أن تـلزمَ ما قد جـنَى عليك، بَهرامُ و بيدخْـــــتُ[1]

فأبو العلاء المعري لم يصل في هذه الأبيات – حسب تعليق الأستاذ أليظي – إلى رفض حقيقة القيامة و الحساب، وإنما أبان فيها عن قدر هائل من الخوف و التوجس في الأمر كله، و استخدم أبو العلاء في ذلك أدوات عدة، تؤدي في مجملها و محصلتها النهائية، إلى موقف متشكك غاية التشكك، و المعري في هذه الأبيات إن لم يصرح بأنه ينكر الآخرة؛ فإنّه قد وضع فكرة الآخرة ضمن متاهات الغموض و انعدام اليقين[2].

كما يشير الدكتور كامل حمود، إلى أن المعري كان " مضطربا في آرائه حول قدرة العقل و سلطته، و حول قضية الدين و مبادئه، و حول المصير و ماهيته "[3].

و لكن المعري، يرد على من اعترض عليه قوله، في البيتين الثالث و الرابع، حيث يقول: " المعنى أن ابن آدم لا يدري ما يقضى عليه. فيجوز أن تتغير نيته في الإيمان فيدخل النار، و يمكن أن يؤمن الكافر قبل الموت بلحظة فيستوجب بذلك العفو. و قد وردت مثل هذه الأشياء في الحديث المأثور: " إن ابن آدم ليعمل أعمال أهل الجنة حتى لا يبقى بينه و بينها إلا قيد الظفر، ثم يرجع عن ذلك فيدخل النار. و إنه ليعمل أعمال أهل النار حتى لا يبقى بينه و بينها إلا قيد الظفر، ثم يرزق التوبة فيدخل الجنة " و قد كان في زمان النبي – صلى الله عليه و سلم – من كان كافرا به، ثم بدا له أن يؤمن فيجاهد، فقُتِل فدخل الجنة و هو لم يُصلِّ لله قط[4]. و قد جاء ذلك في الكتاب العزيز في قوله: **((و ما أدري ما يُفعل بي و لا بكم))** [5] " [6].

و المتصفح لديوان اللزوميات لأبي العلاء المعري، يجد عددا لا بأس به من الأبيات، التي تؤكد و تثبت حقيقة الحشر و النشور، و القارئ لهذه الأبيات يزيد اقتناعا، من أن قائلها مؤمن بالحشر، و أن قائلها بريء من تهمة الكفر بالبعث أو التشكيك في أمر قضاه الله. " فلأبي العلاء في نثره و نظمه، كثير من الجمل و الأبيات تدل دلالة صريحة و قطعية، على اعتقاده الحشر، و في لزوم ما

([1]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص:174. الشخت: الضعيف، نوبخت: أحد ملوك الفرس القدماء و هو من عبدة النار، بهرام و بيدخت: هما أيضا من ملوك الفرس القدماء.

([2]) - صالح حسن أليظي، الفكر و الفن في شعر أبي العلاء، ص: 152.

([3]) - كامل حمود، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية، ص: 151.

([4])- هو عمرو بن ثابت بن وقش المعروف بأُصَيرِم بني عبد الأشهل .

([5]) - سورة الأحقاف، الآية: 09.

([6])- أبو العلاء المعري، زجر النابح، ص: 32 – 33.

لا يلزم وحده، أكثر من مائة بيت كلها تصرح بإثبات الحشر، أو ما يكون فيه من جنة و نار و حساب، و ما أشبه ذلك "[1]

و للمعري أبيات تثبت إيمانه بحقيقة الحشر و النشر، كما في قوله، مثبتا أن الله قادر على أن يحشر الأموات و أن يبعثهم:

و قدرة الله حق، ليس يعجزها حشر لخلق، و لا بعث لأمواتِ[2]

و قوله:

و متى شاء الذي صوّرنا، أشْعرَ الميت نشورا، فنشر

فافعل الخير و أمّل غبّه، فهو الذّخر إذا الله حشر[3]

و قوله:

إذا ما أعظمي كانت هباءً، فإنّ الله لا يُعييه جمعي[4]

و قوله:

أما يرى الإنسان، في نفسه، آيات ربٍّ، كلّها غُرّ؟

في فمه عذبٌ، و في عينيه، ملح، و في مسمعه مرّ

يكرّ موتانا إلى الحشر، إن قال لهم باريهم: كُرّوا[5]

و قوله:

نفضتُ عني ترابا، و هو لي نَسبٌ، و ذاك يُحسب من قطْع الفتى الرَّحِمَا

يا هونَ ما أوعد الله العبادَ به، إن صار جسميَ في تحريقه فحما

و إنّما هو تخليد بلا أمد تمضي الدّهور و صالي النارِ ما رُحما[6]

فالمعري في هذه الأبيات يذكر الحشر، و هو مؤمن به و متيقنٌ من حقيقته، و معترف به، اعتراف مؤمن بوعد الله و قدرته، على إحداث الحشر و البعث متى شاء ذلك، فما الأبيات السابقة إلا أبيات شاهدة على إيمان المعري بعظمة الله في خلق خلقه و إبداعه فيه، و أنه القادر الذي

([1]) - محمد سليم الجندي، دين أبي العلاء، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 291.
([2]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص: 186.
([3]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 509.
([4]) - المصدر السابق، ج 02، ص: 40.
([5]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 393- 394. العذب: التراب؛ المر: صمغ الشجر كنى به عن شمع الأذن.
([6]) - المصدر السابق، ج 02، ص: 320.

يبعث الموتى كما خلقهم أول الخلق.فهذه الأبيات تدل دلالة صريحة، على إيمان أبي العلاء بالبعث و النشور.

الفصل الثالث

جدل المحدثين حول لزوميات أبي الـــــــــعلاء المـعري

الفصل الثالث: جـــــدل المحدثين حول لزوميات أبي العلاء المعري:

المبحـث الأول: جـدل المحـدثين حـول مكانــة أبــي العـلاء الأدبيــة مـن خـلال اللزوميات.

المبحـث الثـاني: جـدل المحـدثين حـول مكانــة أبــي العـلاء الفكريــة مـن خـلال اللزوميات:

- موقف الفريق الأول: المعري فيلسوفا.
- موقف الفريق الثاني: المعري شاعرا.
- موقف الفريق الثالث: المعري فيلسوف الشعراء و شاعر الفلاسفة.

المبحث الأول:

جدل المحدثين حول مكانة أبي العلاء الأدبية من خلال اللزوميات:

يعتبر المعري، من بين أكبر شعراء العربية و أدبائها، المشهود لهم بالسبق و التفوق، و الذين استقطبوا انتباه الباحثين و اهتمامهم، فما الكتب و الدراسات الكثيرة التي أُلِّفت حوله قديما و حديثا، إلا دليلا على تفوّق المعري في شعره و أدبه، فاحتل بذلك مكانة مرموقة بين أساطين العربية و جهابذتها. و كان موضع اهتمام المؤرخين و النقاد و الدارسين؛ إنه ظاهرة أدبية امتد تأثيرها لتمس جميع نواحي الفكر و الفلسفة و الأدب، إنه ذاتٌ مدهشة خلفت وراءها إرثا أدبيا و فكريا، ما زال البحث النقدي و الدرس الأدبي لم يفرغ بعد، من استكناه كل مكنوناته. و نحن هنا، نتقصى و نبحث عن مكانة المعري الأدبية لدى المحدثين، و موقفهم من شعره في لزومياته، هذا الديوان الشعري الضخم، الذي يجمع آراء المعري و تصوراته للحياة، و أسئلته التي ما تنفك تنتهي، فهو دائما ذلك الباحث عن الحقيقة الخفية.

تتفق كلمة المحدثين حول تفوق المعري و تمكنه، كما اتفقت فيه كلمة معاصريه القدماء، ومن أتى بعدهم في العصور الماضية من تاريخ العربية. " و قد اتفق محبّوه و مبغضوه على أنه كان وافر البضاعة من العلم، غزير المادة في الأدب، إماما فيه، حاذقا بالنحو و الصرف، نسيج وحده في الذكاء و الفهم"[1].

و هذه الدكتورة عائشة عبد الرحمان (بنت الشاطئ) تقول في المعري الأديب : " يقدم لنا أبو العلاء مثالا صادقا لجبرية الالتزام، الذي تقضي به طبيعة الأديب، من حيث كونه وجدان المجتمع، و العدسة النقية الصافية، لتلقي أحداث الحياة و أوضاع الدنيا، و لم يكن في عصر أبي العلاء دعاة ينادون بالأدب الهادف، وإنما تصدى أبو العلاء بإنسانيته المصفاة و وجدانه الملهم المرهف، لحمل الأمانة الصعبة، دون حاجة إلى من يحمله عليها أو يلزمه بها، في زمان محكوم بفردية طاغية و مجتمع طبقي متصدع "[2].

([1]) - أبو العلاء المعري، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (معجز أحمد) ، ج 01، ص: 139.

([2]) - عائشة عبد الرّحمان (بنت الشاطئ)، رسالة الغفران - دراسة نقدية – دار المعارف، القاهرة، د ت، ط 04، ص: 16.

فهو ذلك المدافع الاجتماعي الملتزم بقضايا مجتمعه، كما أنه كان أديبا حرا شجاعا في الرأي. " إنه شاعر من الدرجة الأولى" [1]. فمن وراء عشرة قرون أو نحو منها، يُطل علينا – حسب تعبير عائشة عبد الرحمان – أبو العلاء، فترى فيه الأديب الحر، الذي اشترى بالدنيا و ما فيها، حرية الضمير و شرف الكلمة و شجاعة الرأي[2].

ففي مقدمتها لـ (رسالة الغفران – دراسة نقدية –)، تكتب رأيها و قولها عن شاعر العربية، بكلمات تنم عن تقديرها لأديب العربية الأكبر، الذي استطاع – على حد تعبيرها – أن يجد نفسه و الظلمة من حوله كثيفة داجية، و الذي يستطيع اليوم، و غدا، أن يعلمنا رسالة الأديب المفكر الحر، و أمانة الفن و شرف الكلمة.[3]

يبدو أن موقف بنت الشاطئ، موقف تقدير و إجلال. موقفٌ يعترف لأبي العلاء بالسبق و التفوق في شتى مناحي علوم العربية، كما يعترف له بحق الأستاذية و أنه المعلم البارز في ميدان الأدب و فنونه. لأن المعري– كما يقول عمر فروخ– " عبقري، لا شك في ذلك، لقد كان أعمى، و مع ذلك فإنه كان يحيط بمعارف – في اللغة خاصة ثم في الأدب و التاريخ و المدارك الفكرية – لا تتأتى أحيانا لنفر من المبصرين "[4].

إنّ أبا العلاء – على حد قول عارف العارف – " قطب من أقطاب الفكر و الفضل و الأدب، و ركن من أركان الثقافة و العدل و الرحمة... فمن حقنا أن نمجد أبا العلاء، و أن ندعو مفكرنا العربي الأعمى؛ بالضياء بل بالشمس، طلعت في معرة النّعمان، فأضاءت الشرق و الغرب، بأشعتها النقية الخالدة خلود الفكر"[5].

كما يرى الدكتور محمد الشريفي، أن أبا العلاء المعري " من طراز تلك الشخصيات الأدبية، التي أوفت على الزمن و شغلته ماضيا و حاضرا و مستقبلا، ذلك لأن أبا العلاء في غالب ما أخرج

([1]) - عمر فروخ، حكيم المعرة، ص: 10.
([2]) – عائشة عبد الرحمان (بنت الشاطئ) رسالة الغفران – دراسة نقدية -، ص: 17.
([3]) - المرجع السابق، ص: 18.
([4])- عمر فروخ، حكيم المعرة، ص: 18.
([5]) - عارف العارف، أبو العلاء و أقطاب الفكر المحدثون، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 337.

للناس، لم يكن إلا ومضة حق و خير، و تعبيرا حرا بليغا عن الكون و الحياة، و صدى قويا شجيا، لخلجات القلب و أمواج النفس "[1].

و لعل الدكتور الشريفي لم يقف به الأمر، عند هذا الحد من الاعتراف بعظمة شعر و فكر المعري، إذ نراه يعلّق على أبيات شعر قالها المعري في لزومياته، هذه الأبيات التي خلفت آراء نقدية تقييمية في غاية الأهمية، بالنسبة لموقف الرجل من مكانة أبي العلاء الأدبية، و هو الذي يقول في حرارة و حماس، ينمّان عن اعتراف الرجل بشاعرية أبي العلاء المعري، و تفوقه في النظم، و حسن تخيّره المعاني التي تستأنس الآذان بها، و براعة التصوير و دقته. يقول الدكتور الشريفي معلقا على هذه الأبيات من اللزوميات:

يقول المعري:

للمليك المذكـــرات عبـــيـــــــد و كذاك المؤنـــثات إمـــــاء

فالهلال المنيف و الـــبـــدر والـــف رقد و الصبح و الثرى و المـاء

و الثريا و الشمس و النـــار و النثرة و الأرض و الضحى و السمـاء

هذه كلها لربك مـــــا عـــــــــا بك في قول ذلك الحـــكـمـاء

خلني ...[2]

" أوليس في هذا الشعر أعمق و أدق ما يختلج به القلب البشري؟ أفلا نرى فيه الشاعر الملهم، و قد أبرز أفكاره و أحاسيسه في صيغ متينة متسقة من اللفظ الواضح المأنوس تدخل الآذان من غير استئذان، لتحل أعماق النفس؟ ألم نخشع مع الشاعر لعظمة الله بديع السماوات و الأرض، و قد أبرز الكون عبدا لله بمذكراته و مؤنثاته؟"[3].

و يضيف معلقا على الأبيات التالية، التي استطاع المعري – حسب تعليقه– أن يضع القارئ في زخم الحياة العباسية بتدافع أحداثها، فيحس القارئ و كأنّه يعيشها حقيقة، ملامسا بذلك خيوط التاريخ في أوضح تجلياته، و أنقى صوره، حين يقرأ قول المعري في لزومياته:

يقول المعري:

([1]) - محمد الشريفي، أسلوب المعري و منهاجه، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 217.
([2]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص: 58.
([3]) - محمد الشريفي، أسلوب المعري و منهاجه، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 244.

يكفيك حزنا ذهاب الصّالحين معا و نحن بعدهم في الأرض قُطّــان

إنّ العراق و إنّ الشام من زمـن صفران، ما بهما للملك سلطــان

ساس الأنام شياطين مسلّطـــة في كل مِصر من الوالين شيطـان

من ليس...[1]

كما يجعل القارئ يفكر في جدلية الموت و الحياة، في قول المعري:

أما الصحاب فقد مروا و ما عــادوا و بيننا بلقاء الموت ميعـــاد

سرٌّ قديم، و أمر غير متّضـــح، فهل على كشفنا للحق إسعاد؟

سيران ضدان...[2]

يقول الدكتور الشريفي معلقا: " ألم يصور لنا حياة عصره حتى لكأننا نراه و نعيش فيه؟ ألم يبصرنا بالموت و الحياة و قد أشهدنا النهاية سيلا جارفا، و ايعادها عارضا تخطف الأبصار بروقه، و تصم الآذان رعوده؟ ألا إن هذا لهو الشعر بأكمل معانيه و أجمل مبانيه "[3].

كان المعري في نظر المحدثين ذلك الشاعر الذي تفنن في نظم لزومياته، فكان له السبق في أشياء سلكها في نظم الشعر. يقول طه الراوي في النهج الذي سار عليه المعري في كتابته الشعرية: " نهج في شعره نهجا مبتكرا و اتخذ له موضوعات حية باقية، فجاء شعره جامعا بين الابتكار في الموضوع، و بين العمق في التفكير و الصراحة في التعبير، و البراعة في التصوير. و أن شعرا يجمع بين هذه العناصر الحية، لجدير بالبقاء ما بقيت أغراضه و موضوعاته حية ماثلة، و ما بقي الفن الذي أبرزه حيا ماثلا "[4].

يوافق الدكتور محمد الشريفي قول طه الراوي ، و يذهب مذهبه ، في مسألة ما إذا كان المعري، من بين الذين ابتكروا نهجا جديدا في الكتابة الشعرية، و هو الذي يقول: " إن أبا العلاء شخصية أدبية فذة طالعت الآداب العربية بأسلوب جديد، له خطره و أثره في الشعر و النثر، تفنن فيه أبو

([1])- أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج02، ص: 395. قطان: جمع قاطن: مقيم، ساكن.

([2]) - المصدر السابق، ج01، ص: 270.

([3]) - محمد الشريفي، أسلوب المعري و منهاجه، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 244.

([4]) - طه الراوي، سر الخلود في شعر أبي العلاء، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 172.

العـلاء لفظـا و معنـى و شـكلا و أساسـا، و تـأثر بـه الأدب العربـي و الآداب الأجنبيـة إلـى حد بعيد ".[1]

كيف لا يتأثر به الأدب العربي و الآداب الأجنبية، و هو الذي تُنسب إليه فلذات شعرية، في قمة الإتقان و التمكن، وقف بها إلى جانب كبار الشعراء العالميين، لما فيها من توثب و صفاء، و حرارة نفَسٍ إنساني و شطح ملحمي[2].

فقد رفض المعري في لزومياته – كما مر بنا سابقا – الشعر القديم رفض السقب غرسه و الرأل تريكته[3]، فلم ينشئ في النسيب و الفخر و المدح و الهجاء، و هذا هو السبب القابع وراء خلود شعره، كما يوضح ذلك الدكتور طه الراوي، الذي يذهب إلى أن سر خلود شعر المعري في لزومياته، إنما كان بسبب ما طبع شعره من إبداع و اختراع، فبينما كان الشعراء يهيمون في أودية الطلب و التكسب بالمديح، و إطالة الهجاء لمن يمنعهم العطاء، و يرْثون من لا يعرفون و يتهافتون في العبث و المجون، كان شاعرنا المعري منصرفا إلى درس الإنسان و أحواله، و ما يحيط به من شر و خير، فمات الكثير من شعر هؤلاء الشعراء بموت ممدوحيهم، و موت المهجوّين، و بقي شعر أبي العلاء المعري حيا يطاول و يُصاول و يُجاهد و يُجالد، فبقي أثرا خالدا و شاهدا على تفوق صاحبه[4]. و إلى هذا الرأي أيضا، يذهب الدكتور خليل شرف الدين، حين يقول: " على يد أبي العلاء خرج الشعر من دائرته القديمة الضيقة؛ دائرة العبث و الفردية و القبلية، و القدح و المدح و الارتزاق الرخيص "[5].

فالمعري – على حد تعبير محمد رضا الشبيبي – شاعر انفرد بخصائص فنية، امتاز بها على سائر الشعراء قديمهم و حديثهم، لأنه نهج مذهبا جديدا و أسلوبا مخترعا، في الكتابة الشعرية، و أبرز هذه الخصائص و أهمها، التزامه ما لا يلزم، فالمتصفح لدواوين الشعر العربي القديم، لا يجد ما يجده في اللزوميات من تقيد صارم بالقافية، و التي يلزم فيها حرف الروي حرفا أو أكثر. كما لا

([1]) - محمد الشريفي، أسلوب المعري و منهاجه، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 218.
([2]) - خليل شرف الدين، المعري مبصر بين عميان، ص: 29.
([3]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم،ج 01، ص: 45.السقب: ولد الناقة إذا وضعته و عرف أنه ذكر، و قبل أن يعرف أذكر أم أنثى يسمى سلسلا. و الرأل: فرخ النعامة، و جمعه رئال. و التريكة: البيضة. و الغرس: المشيمة.
([4]) - طه الراوي، سر الخلود في شعر أبي العلاء، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 173.
([5]) - خليل شرف الدين، المعري مبصر بين عميان، ص: 31.

يجد ديوانا خاصا بتمجيد الله و حمده، و ذم الدنيا الغرور[1]. كما يذهب الدكتور عبد الفتاح كيليطو إلى القول أيضا، بأن المعري قد " التزم من الناحية العروضية، بروي مزدوج، مضيفا حرفا إلى متطلبات القافية، و التزم من ناحية الموضوع، أو الأغراض بالصدق، و معنى هذا أنه ضحى بأهم مقومات الشعر و هو الكذب. لن يحذو حذو الشعراء، و لن يخوض في أغراضهم التقليدية "[2]. و هي الأشياء التي تحسب للمعري تفوقا و انفرادا.

فلم يكن للمعري أن يحظى بهذا التقدير و الامتنان، لولا ما ميّز شعره من ثروة لغوية هائلة، و اعتماده الأجود من الألفاظ، و المعاني التي تشعّ بها أغراضه، و سعة اطلاعه على العلوم و الثقافات المتاحة له. " هذا فضلا عن كون الروي أحد وسائله التعبيرية، التي تقيم الإتصال بينه و بين العالم و الإنسان، لهذا فقد أثبت قدرته الفائقة، التي فاقت متقدميه و المتأخرين عنه في هذا الأداء"[3]. و هذا عميد الأدب العربي طه حسين يقول في شخصية المعري اللغوية الأدبية: " ما أعرف أحدا وعى اللغة العربية كما وعاها أبو العلاء. و ما أعرف أن أحدا راض اللغة العربية كما راضها أبو العلاء. و ما أعرف أن أحدا صرف هذه اللغة في أغراضه و حاجاته الفنية كما صرفها أبو العلاء "[4].

و لأنّ " المعري متين التركيب، لغوي أديب عالم... و قدير في التهكم و النقد"[5]، و هذا ما يجعل من شعره، حسب ما يقول الدكتور طه الراوي: " جيّد في ألفاظه جيّد في معانيه جيّد في أغراضه. فإن سعة إطلاع أبي العلاء على أسرار العربية مكّنته من ترصيع شعره بالبارع من الألفاظ... و أنا زعيم بأنه لو جمع جامع، ما جاء في شعر أبي العلاء من فرائد الألفاظ و نوابغ الكلم، لاجتمع له معجم طريف في بابه، يغني الناظر فيه عن الكثير من معاجم اللغة. أما المعاني التي طرقها أبو العلاء، فهي غاية في الدقة و الطرافة، و الإبداع و الاختراع، مع الكثرة في التنوع و التفرع، و التوليد و التجديد".[6]

([1]) - محمد رضا الشبيبي، لزوم ما لا يلزم في الأدب العربي، ضمن المهرجان الألفي لبي العلاء المعري، ص:347.
([2])- عبد الفتاح كيليطو، أبو العلاء المعري أو متاهات القول، ص: 43.
([3]) - د. مصطفى السعدني، البناء اللفظي في لزوميات المعري – دراسة تحليلية بلاغية - ، منشأة المعارف بالإسكندرية، د ت ، د ط، ص: 84.
([4])- طه حسين، مع أبي العلاء في سجنه، ص: 202.
([5]) - عمر فروخ، حكيم المعرة، ص: 54.
([6]) - طه الراوي، سر الخلود في شعر أبي العلاء، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 165.

يضم الدكتور أنيس المقدسي رأيه، إلى رأي الأساتذة الذين اعترفوا للمعري بطول باعه في الأدب و الشعر، و المولعين ببراعة الرجل في أدائه الأدبي. يرى المقدسي أن المعري شاعر عظيم، و يصعب إيجاد ندّ له في التراث العربي لعظمته، حين يقول: " لا أعلم شاعرا قديما بلغ تأثيره الروحي في أدبنا ما بلغه تأثير هذا الشاعر العظيم، شاعر واحد فقط يقاربه هو أبو الطيب المتنبي و لكن من سبيل آخر "[1].

كما يذهب الدكتور كمال اليازجي – معترفا بعلو منزلة أبي العلاء الأدبية – إلى أن المعري شاعر عارف، بخبايا الكتابة الشعرية و نواميسها، و أنه واسع الاطِّلاع، و صاحب ثقافة أدبية و لغوية هائلة، " فقد استعان المعري على إبراز أغراضه بالأبيات السائرة، و ذلك بطريقة التضمين و التلميح و التعريض، مما يشهد له بطول الباع في الأدب، و فرط البراعة في الاقتباس و التلميح " [2]. كما يشغلنا أبو العلاء المعري في لزومياته، بكثرة التصوير الحسي و حب الاستشهادات المختلفة، و الولوع بالتحدي و إظهار البراعة في الكتابة، و كثافة المعرفة و الذكاء الحاد، في ملاحظة أوضاع الحقيقة [3].

كما كان المعري – كما يقول اليازجي – في لزومياته، صاحب أسلوب أخاذ و سبك قوي متين، فمن الميزات التي يمتاز بها أسلوبه في لزومياته " حسن السبك و قوة التركيب، فألفاظه آخذة بعضها برقاب بعض، و جمله جيدة الرصف، لا ضعف فيها و لا هلهلة و لا بدع، فهي وليدة التنقيح و التهذيب و التجويد. و لا تظهر فيها مع ذلك بوادر العناء و التكلف إلا فيما قل و ندر... فبلاغة التركيب إذن هي الصفة الغالبة في أسلوب الديوان "[4].

فليس – على حد قول سامي الكيالي – كالمعري أديب شاعر، عرف سجايا البشرية و طواياها، فوصفها أبلغ وصف. فكان المعري رغم عزلته، ذا اتصال مباشر بالقضايا الطارئة في عصره ، و التي نغصت عليه راحته، و زعزعت سكونه، و هي القضايا التي تشغل الشعب، سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الخلقية[5].

([1])- أنيس المقدسي، الروح العلائية و تأثيرها في أدبنا الحديث، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 24

([2]) - كمال اليازجي، أبو العلاء و لزومياته، ص: 184.

([3]) - خليل شرف الدين، المعري مبصر بين عميان، ص: 129.

([4]) – كمال اليازجي، أبو العلاء و لزومياته، ص: 229 – 230.

([5]) - سامي الكيالي، أبو العلاء المعري دفاع المؤرخ ابن العديم عنه، ص: 175.

جعل المحدثون من شعر و أدب أبي العلاء، صرحا قويا يتعايش مع أزمات الزوال، فتراه ذلك الأدب الصامد، و التراث الحي الذي لا يموت بموت منشئه، و الذي يتخذ لنفسه مكانا في عصور متقدمة، فتراه يشاركها في مجالات الحياة و الفكر. فلا هو بالزائل و لا هو بالمستسلم لنازلات الزمان. فهذا أنيس المقدسي يقول في هذا المعنى: " إن المعري أسمى تراث وصل إلينا من الأجيال الغابرة، و قد زالت منذ أيامه إلى الآن، دول و تيجان، و بادت أمم و بلدان، ولكن روحه لا تزال حية، لأنها روح النابغة الذي يعيش لكل زمان"[1].

هناك نقطة مهمة يجب علينا الإشارة إليها، و هي لغة المعري و أسلوبه في لزومياته، إذ حشد المعري قدرا لا بأس به من الألفاظ الغريبة، فتراه يُعقِّد خطابه الشعري مما يُصعِّب على القارئ، فهم اللزوميات و الوصول إلى المعنى بأدنى جهد منه و ببساطة، فالقارئ للزوميات أبي العلاء المعري، لا يستطيع الاستغناء عن الشروح و المعاجم اللغوية، من أجل فكِّ طلاسم أبي العلاء اللغوية. و في هذا يقول الدكتور خليل شرف الدين: " شيءٌ واحد أساء إلى أبي العلاء أديبا و شاعرا هو: التحذلق التعبيري و اللغوي، أو ما يسمى بالفرنسية (**préciosité**)، به يغلّ الأديب و الشاعر يديْ أدبه، و يثبِّط همّة أسلوبه، و يثقل جناحي خياله، و يصبح الأدب – خاصة الشعر – ألهيه لغوية و على الأصح أحجية مُطلسمة، تستدعي من القارئ أن يفتح القواميس باستمرار، ليفهم المراد و يفك اللغز "[2].

فالقارئ للزوميات يدهش و يتعجب، من الثروة اللفظية الزاخرة، التي يستوعبها هذا الديوان، فهو يكاد لا يقلب صفحة جديدة، أو يقرأ قصيدة من القصائد الأخرى، حتى يصطدم بألفاظ و تعابير لا غنى له فيها، عن طلب العون من الشروح و التفاسير، و المعاجم اللغوية، فتراه يمضي على هذا النحو في قراءة اللزوميات. " و هذه الثروة اللفظية الطائلة تشتمل – و لابد – على الكثير من الألفاظ الغريبة، و التعابير النادرة، و المترادفات المتعددة "[3].

([1])- أنيس المقدسي، الروح العلائية و تأثيرها في أدبنا الحديث ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 246.

([2]) - خليل شرف الدين، المعري مبصر بين عميان، ص: 128.

([3]) - كمال اليازجي، أبو العلاء و لزومياته، ص: 221.

لم يسلم المعري – حسب ما يذهب إليه اليازجي – من أخطاء التركيب و اضطرابه، و ركاكة التعبير، و التي طفحت على بعض نصوصه الشعرية. و هو الناقد لهذه الأبيات التي يقول فيها المعري:[1]

لعمرك ما بي نجعةٌ فأرومها و إنّي على طول الزمان لمُجدِبُ[2]

يرى اليازجي في هذا البيت ضعفا في الوصل بين العبارتين، لما بينهما من بعد. و هذا ما أضعف التركيب و جعله ركيكا. كما يقول في البيت التالي من قول أبي العلاء:

خَضَبتَ بياضا بالصَّبيب، صَبابةً بيضاءَ عدّتك البنانَ المُخضّبا[3]

التجنيس الذي اعتمده المعري في هذا البيت، بين **بياض و بيضاء**، و بين **صبيب و صبابة**، و بين **خضيب و مخضّب**، زعزع العبارة و أذهب تماسكها.

و قول أبي العلاء المعري:

افطَرْ و صُمْ، أو صُمْ و إفْطَر خائفا، صومُ المنية ما له إفطار[4]

و الضعف هنا في ترديد الصيام و الإفطار تقديما و تأخيرا بلا مبرر معنوي كاف.

و إلى هذا يشير أيضا الدكتور حميد سمير، الذي يرى بأن أسلوب المعري في لزومياته تتحكم فيه خاصيتان أسلوبيتان، و تهيمنان على خطاب أبي العلاء، و هي السهولة و البساطة من جهة، و التعقيد و الإلغاز من جهة أخرى. حيث يقول: " اللزوميات نص كتابي تتحكم في بنيته أسلوبيتان متباينتان، تقوم إحداهما على السهولة والبساطة وهي التي كان يتوجه بها إلى عامة المتلقين، إذ لا لُبس فيها ولا غموض. بينما هناك نصوص أخرى يستعصي فهمها على العامة، لما في بنيتها من تعقيد وتشاكل معنوي، سببهما الاعتماد على خصائص أسلوبية جديدة، قوامها اللغز والإبهام والإضمار والتلميح. فهذه التقنيات كلها هي ما يسود في كثير من نصوص اللزوميات، ممَّا جعلها تتميز بالتعقيد والمعاضلة الكلامية "[5].

([1]) - المرجع السابق، ص: 230.
([2])- أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 01، ص: 81.
([3]) - المصدر السابق، ج 01، ص: 101.
([4]) – المصدر السابق،ج 01، ص: 371.
([5]) - حميد سمير، النص و تفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري، ص: 167.

إن التعقيد و الإلغاز الذي هيمن على ديوان لزوم ما لا يلزم ، كان سببا رئيسيا في نفور القراء منه، لأن القارئ يجد نفسه أمام " شيء مستغلق أشد استغلاق، مبهم أشد إبهام، أمام شيء استوى في التعقيد و حُبِّب إليه فهو لا يفصح عن كنهه، و إذا أفصح أحيانا فلكي يكون طريقا إلى تعقيد جديد"[1]. لم يحظ باهتمام الدارسين و الشُرَّاح، كما اهتموا بدواوين عربية أخرى، و هذا ما أدى إلى قلة انتشار الديوان في الساحة الأدبية، و هذا ما يشير إليه الدكتور هادي العلوي، حين يقول: " و اللزوميات لوعورة ألفاظها، لا تزال أقل انتشارا بما لا يقاس من بقية دواوين الأقدمين، التي تحظى بالرواج بين عامة المتعلمين و ليس الأدباء وحدهم. و مسؤولية ذلك تقع على صاحبها، الذي حصّنها بالمعمّى و المجهول، فجاءت عسيرة القراءة لاسيما على القارئ المعاصر"[2].

كما أثر التكرار الممل على نص اللزوميات، و ما ضخامة حجم اللزوميات إلا بسبب التكرار، الذي دعا إليه إلزام أبي العلاء نفسه بالقافية المزدوجة، و بالقول في جميع حروف المعجم، و الذي يبغض هذا التكرار إلى النفس و يثقله على الطبع.[3]

مهما يكن من أمر فإن الباحثين المحدثين، مجمعون على أن لأبي العلاء المعري، مكانة أدبية مرموقة، لا ينازعه فيها إلا كبار الأدب من أمثاله، فهو علم من أعلام و أساطين العربية، و أديبها و شاعرها الفنان، العارف بمواطن الحسن و الجمال. يشهدون بعلو كعب أدب المعري، بدراساتهم التي تعد بالمئات، و بالمنتديات و الملتقيات العلمية، و الأيام الدراسية التي تقام إحياءً لذكراه، و تمجيدا لما خلفه من آثار، تبقى شاهدة على نبوغ أبي العلاء، الأديب الشاعر الحر.

([1]) - عبد الله العلايلي، المعري ذلك المجهول، ص: 10.

([2]) - هادي العلوي، المنتخب من اللزوميات نقد الدولة و الدين و الناس، ص: 06.

([3]) - كامل سعفان، في صحبة أبي العلاء بين التمرد و الانتماء، دار الأمين للنشر و التوزيع، القاهرة، 1993م، ط 01، ص: 41.

المبحث الثاني:

جدل المحدثين حول مكانة أبي العلاء الفكرية من خلال اللزوميات:

من بين المسائل التي شغلت الباحثين و الدارسين للتراث العربي، قضية فكر و شعر أبي العلاء المعري. أهو فيلسوف أم شاعر؟ فما من شك، أن المعري رجل اختلف الناس فيه و في فلسفته أيما اختلاف. إذ كان في عديد الدراسات محل تحليل و دراسة، و كثيرا ما يعترف المهتمون بفكر و شعر المعري، بصعوبة مهمة تتبع آثار المعري بالدراسة و التحليل.

إختلف الباحثون و الدارسون إذن، في تصنيف المعري. فهناك من يجعله في مصاف الفلاسفة الكبار، و هناك فريق آخر يسلك منحا مغايرا في التصنيف، جاعلا المعري شاعرا، و نافيا بذلك صفة التفلسف عن أبي العلاء، و يكتفي أنصار هذا الفريق، بإطلاق لقب الشاعر على أبي العلاء المعري.

و على هذا الأساس، يتوجب علينا تتبع هذه الآراء بتريث، و دون أي تسرع في إبداء الرأي و الرأي النقيض. كما يفرض علينا هذا الإشكال المطروح، إمعان نظر، و تمهل بصير، و رويةٍ قبل الخوض في مناقشة الآراء المختلفة حول نصيب نتاج المعري الشعري، من حكمة الفلسفة و وقارها من عدمها.

إذا أردنا تقسيم آراء و مواقف المحدثين، حول نصيب المعري من حكمة الفلسفة و علمها، نقول أنها على ثلاثة أقسام؛ فهناك من الدارسين من يجعل أبا العلاء فيلسوفا، و هناك فريق معارض للفريق الأول، إنه الفريق الذي ينكر صفة التفلسف و الفلسفة عن أبي العلاء، و يزحزح المعري من عرش الفلاسفة. وبين الفريقين نجد فريقا حائرا هائما في تصنيف المعري بين هذا و ذاك، فتراه يجمع بين الوصفين؛ المعري الشاعر من جهة، و المعري الفيلسوف و الحكيم من جهة أخرى. هذا الفريق واقع في حيرة و تردد عميقين، إلى درجة أنه لا يستطيع إلصاق صفة دون صفة أخرى من الصفتين، فلا هو مثبت لفلسفة المعري و لا هو نافٍ لها. و سبب هذا الاختلاف في التصنيف، و التردد و الحيرة في التصنيف، على حد تعبير الدكتور طه حسين، هو أنّ المعري " رجل أتعب نفسه، و أتعب معاصريه، و أتعب الناس بعده، و سيظل يتعبهم إلى آخر الدهر، لأنه على صرامته و صراحته و استقامته في حياته العملية، لا يسلك الطريق الواضحة المستقيمة في عرض آرائه، و

إنما يلتوي بها أشد الالتواء. يصرّح حينا و يومئ أحيانا...، كلّ هذا يجعل عباراته غامضة ملتوية، و يشغلنا بألفاظه عن معانيه، و بأسلوبه عن آرائه، و بفنّه عن دخيلة نفسه"[1].

ثم إنّ " كل دارس من الدارسين نظر إليه بمنظار خصوصي، و من زاوية معينة، و أن اتساع أدب المعري، و ما فيه من غموض و حيرة و تناقض، أوقعهم في مشكلة جعلتهم حذرين للغاية من تسميته فيلسوفا، أو نفي الفلسفة عنه" [2].

ويشير هنري لاوست في مقال له، نُشر ضمن أعمال المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، إلى أنّ " شخصية أبي العلاء المعري، لهي من تلك الشخصيات العبقرية الكبرى، المتعددة المزايا و الصفات التي يصعب على الباحثين عنها – و إن لم يستحل – أن يدركوها إدراكا كليا، و أن يحدِّدوها تحديدا شاملا. فكذلك فلسفته، إنها متفننة النواحي، متباينة الأطراف، متناقضة المرامي، فقلما تردد الناس في مذهب كترددهم فيها، و قلما اختلف العلماء، على تنوّع طبقاتهم، في غابر الزمان و حاضره، كاختلافهم فيها"[3].

إذن نحن أمام الإشكالية القائلة: هل كان أبو العلاء فيلسوفا؟ و هل يمكن عدّ اللزوميات كتابا في الفلسفة؟ أم أنه كان شاعر الفلاسفة و فيلسوف الشعراء؟

بناءً على هذا، يستحسن بنا أن نقف عند تعريف الفلسفة، و الإحاطة التامة بمعنى الفيلسوف، بكل ما تحمله الكلمة من أوجه و معان.

تعرّف الفلسفة على الشكل التالي: الفلسفة كلمة يونانية الأصل مركبة من شقين هما: (فيلو) و تعني محبة، و (سوفيا) و تعني الحكمة، و عليه تدل كلمة الفلسفة من الناحية الاشتقاقية على محبة الحكمة أو إيثارها[4].

كما تنقسم الفلسفة إلى قسمين رئيسيين هما: الفلسفة النظرية، و الفلسفة المدنية العملية. و تشتمل الفلسفة النظرية على ثلاثة أصناف من العلوم، أحدها علم التعاليم، و الثاني العلم الطبيعي، و الثالث علم ما بعد الطبيعيات. أما الفلسفة المدنية العملية، فهي على صنفين؛ أحدهما يحصل على الأفعال الجميلة، و الأخلاق التي تصدر عنها الأفعال الجميلة، و القدرة على أسبابها، و هذه تسمى

([1]) - طه حسين، الفصول و الغايات، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 22.
([2]) - ميخائيل مسعود، أدباء فلاسفة ، ص: 312.
([3]) - هنري لاوست، اختلاف الآراء في فلسفة أبي العلاء، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري ، ص: 293.
([4]) - كامل حمود، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية، ص: 13.

الصناعة الخلقية، أما الصنف الثاني منها؛ فإنه يشتمل على معرفة الأمور التي بها تحصل الأشياء الجميلة، و القدرة على تحصيلها و حفظها، و هذه تسمى الفلسفة السياسية[1].

و يعرّف أحمد الشايب الفيلسوف، بأنه ذلك المفكر الذي يجعل همه، دراسة الأشياء و تحليلها، ليعرف ماهيتها، و ما بينها من صلات، بحيث يؤثر هذا الدرس في سلوكه، و يكسبه براعة في فهم الأمور و معالجتها[2].

- **موقف الفريق الأول: المعري فيلسوفا.**

استنادا إلى تعريف الفلسفة، و ما تحمله كلمة فيلسوف من معان، يتبيّن بأنّ المعري فيلسوف بجدارة و استحقاق، حسب ما يذهب إليه الفريق الذي يضع المعري، و يثبت مكانته بين الفلاسفة الكبار أمثال أفلاطون و أرسطو. لأنه على حد تعبيـر بعضهم " الوحيد بين أقرانه الذي درس العلوم الإلهية، و العلوم الطبيعية و العلوم الخلقية، درسا طويلا عميقا متقنا، إذ عايش النتائج و الأهداف بالممارسة اليومية الفعلية، فكان صادقا مع نفسه"[3].

يذهب الدكتور طه حسين – و هو من الأوائل الذين وصفوا المعري بالفيلسوف – إلى أن المعري فيلسوف، و يضع رأيه ضمن الفريق المقر بفلسفة المعري. و هذا ما يبيّنه قوله: " مهما كان أصل اللفظ في اليونانية، و مهما كانت معانيه عند المسلمين، فإنّا نفهم منه رجلا درس العلوم الطبيعية، و الإلهية، و الخلقية درسا عميقا متقنا، و بسط سلطانها على حياته العملية، و سيرته الخاصة، فلم يكن هناك تناقض بين هذه العلوم و بين أعماله، و أن أبا العلاء كان كذلك. فما نلمحه من سيرته و أخلاقه و حياته في منزله و بين الناس، و من درسه للفلسفة في أنطاكية و طرابلس و بغداد، يدلنا على أنه كان فيلسوفا حقا "[4]. و يضيف قائلا عن فلسفة المعري " ليست هذه الفلسفة، إلا فلسفة أبيقور[5]، قد لاءم بينها و بين بيئته الإسلامية ملائمة رائعة حقا، حتى خدع عنها كثيرا من الناس،

([1]) - المرجع السابق، ص: 16.

([2]) - أحمد الشايب، أبو العلاء المعري شاعر أم فيلسوف، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 30.

([3]) - ميخائيل مسعود، أدباء فلاسفة ، ص: 313.

([4])- طه حسين، ذكرى أبي العلاء، مطبعة الواعظ، مصر، 1915، ص:329. نقلا عن: إبراهيم العاتي، الزمان في الفكر الإسلامي – ابن سينَا، الرازي الطبيب، المعري - ، ص: 44 – 45.

([5]) - الفلسفة الأبيقورية نسبة إلى منشئها (أبيقور)، و هو فيلسوف يوناني، و هي الفلسفة التي تقوم قبل كل شيء على إنكار العلة الغائية، التي يؤمن بها كثير من الفلاسفة و أصحاب الديانات جميعا. فالأشياء لم تُخلق بهذه الغايات التي نرى أنها خُلِقت لأجلها. و كان من الممكن أن تُخلق على غير صورها المعروفة، و كان من الممكن أن ينظر الإنسان بقدميه و يشم بمنكبيه، و يبكي بأصابعه. إذن فالعالم لم يُخلق لنا و الطبيعة لم تُسخّر لحاجاتنا، إذن لا ينبغي أن نستحلّ منها كل ما نستحل، و لا أن نستأثر بخيراتها لأنفسنا، و لا أن نؤلم الحيوان للذتنا، و لا أن نظلمه لمنفعتنا =

فظنوها إسلامية خالصة و رأوا فيها مذهبا موروثا، من مذاهب الزهد و النسك"[1].

و حجة طه حسين في ذلك، أن الفلسفة الأبيقورية قد وصلت إلى أبي العلاء عن طريق الطب اليوناني و عن طريق طب جالينوس، إذ كان أبو العلاء شديد الإعجاب بأعمال هذا الأخير، فانكبّ على ما تُرجم إلى العربية منها[2].

كما يوجز طه حسين، الفلسفة العلائية في ثلاثة أصول أساسية:[3].

- الأصل الأوّل في الفلسفة العلائية: هو تخيُّل الإنسان أنّ العالم خلق من أجله، و سُخّر لمنفعته و تلبية حاجاته.

- الأصل الثاني: هو أنه، من حق الإنسان أن يستمتع باللذات إلى أقصى حد ممكن، و لكن هذا الاستمتاع لا سبيل إليه، لأنه لا يصح و لا يستقيم، إلا إذا خلا من الألم و الظلم و العدوان. و ليس إلى ذلك سبيل، فالإنصراف عن هذا الإستمتاع هو الخير كل الخير، و هو الحق على الرجل الذي يعرف ما يأتي و ما يدع.

- الأصل الثالث: أنّ هذا العالم لم يَخلق نفسه، و لم يُخلق عبثا، و إنما خلقه إله، ليس في وجوده شك، و خلقه لَحِكمة ليس فيها شك، و لكن عقولنا لا تعرفها و لا تستطيع أن تعرفها، لأنها لم تُمنح وسائل هذه المعرفة، كما أنّ أجسامنا لم تُمنح السُّلَم الذي يوصلها إلى الثرُيّا.

يذهب الدكتور كمال اليازجي نفس المذهب، و إن لم يصرح ذلك تصريحا، و هو الذي راح يتحدث عن تفكير المعري الفلسفي، و الذي يتسم حسبه، بسمات ثلاث مختلفة؛ أولها الجزم في الأمر إثباتا أو إنكارا، و ثانيها التردد في الرأي قبولا أو رفضا، وثالثها الإقرار بالجهل و الإنتهاء إلى اللاأدرية[4].

فمن البديهي و المنطقي، أن الذي يصف تفكير المعري بالفلسفي، يثبتُ فلسفة المعري، و يدعم رأي الذين يجعلون من المعري فيلسوف العربية. و لكن اليازجي في موضع آخر يناقض ما ذهب إليه هنا، و يقدم حججا تثبت أن المعري، لا ناقة له و لا جمل من حكمة الفلسفة و وقارها. و هو ما سنُبيّنُه عند حديثنا عن الفريق، الذي ينفي صفة الفيلسوف عن شخص المعري.

= فليس حقنا في الحياة بأكثر من حقه، و ليس لنا عليه هذا السلطان الذي ننتحله لأنفسنا.(طه حسين، الفصول و الغايات، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 22 – 23.)

(1) - طه حسين، الفصول و الغايات، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء، ص: 22.

(2) - المصدر السابق، ص: 22.

(3)- المصدر السابق، ص: 23.

(4)- كمال اليازجي، أبو العلاء و لزومياته، ص: 581.

يؤكد الدكتور عمر فرّوخ، و يؤيّد الرأي القائل بأن المعري فيلسوف، و هو الذي يقول فيما معناه؛ أن المعري فيلسوف، لأنه درس الفلسفة و قدّم نقدا للفلسفة الإسلامية في عصره، و نبّه الأفكار إلى ما فيها من آراء صحيحة أو خاطئة، كما أنه اعتمد التحليل الشامل، و حكّم العقل في كل شيء تحكيما فاصلا صحيحا، حتى في الأمور التي ظنّ بعضهم أنها لا تخضع للعقل. ثم إن المعري كان واقعيا في تفكيره، لا يميل إلى الخيال[1].

" و لأن العقل في نظر أبي العلاء هو معيار كل معرفة صحيحة، و ميزان كل منهج قويم. فالخير لا يكون خيرا حقيقيا إلا إذا كان خاضعا لحكم العقل. و منهج الأخلاق لا يكون واضحا إلا إذا أضيء بنور الروية و الفكر"[2].

يرى أحمد أمين أن أبا العلاء، قد مرّ بعدة مراحل في نقده العقلي، و تعد المرحلة الثالثة من أخطر المراحل، إذ كانت تساؤلاته في هذه المرحلة، تنصب حول الفلسفة الإلهية و الغيبية. يقول أحمد أمين: " و هي أخطر المراحل و أشدها و أوعرها، و هي التي تعرّض فيها لصميم الدين، هل الله موجود أو لا؟ و هل هناك وحي أو لا؟ و هل هناك حياة أخرى أو لا؟ و هل الإنسان في هذا العالم مجبور أو مختار؟ ما الحق في ذلك كله و أين أجده و كيف أجده؟ "[3] .

فالذي يعتمد العقل وسيلة للمعرفة، و طريقا يسلكها من أجل بلوغ معرفة ما، أو البحث عن حل لغز من الألغاز التي تثيرها الحياة فينا، قريب من صفة الفيلسوف ، أو يمكن أن نطلق عليه اسم الفيلسوف. و أحمد أمين في قوله السابق، يصرح و يؤكد على أن المعري فيلسوف، لاعتماده العقل في بحثه عن الحقيقة. و هو الذي يضيف متحدثا عن فلاسفة اليونان، و كأني به، يريد أن يضع المعري بينهم حين يضيف قائلا:

" و في الفلسفة اليونانية لون زاه من ألوان العقلية و العقليين، الذين يرون للعقل الحق المطلق في الحكم على الأشياء، و البرهنة على صحتها و بطلانها، و لا يؤمنون بشيء، و لا عقيدة، و لا

([1]) - عمر فروخ، حكيم المعرة، ص: 58 - 59.
([2])- جميل صليبا، فكرة الخير في فلسفة أبي العلاء، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 205.
([3]) - أحمد أمين، سلطان العقل عند أبي العلاء، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 56.

تقاليد و لا مواضعات، إلا إذا قام البرهان العقلي على صحتها، و ما لم يقم البرهان العقلي عليه لا يسلمون به، مهما كانت السلطة التي تجيء به "[1].

و هذا الدكتور إبراهيم العاتي، يرى أن اللزوميات ديوان جمع آراء أبي العلاء، و كانت ناظمة لفلسفته، فهي ليست شعرا بالمعنى الشائع و المتعارف عليه، لأن المعري اعتمد على النزعة العقلية، فكان مؤمنا بالعقل إيمانا عميقا، إن لم يكن مطلقا، كما كان شاكا متسائلا، فكانت شكوكه تنصب أساسا على مسائل ما وراء الطبيعة[2].

كما يشير الدكتور عبد القادر محمود إلى أن اللزوميات كتاب في الفلسفة، حين يقول عن لزوميات المعري، و يصفها بأنها : " أخطر دواوينه شأنا، لأنه يمثل أدق ناحية في فلسفته العقلية، التي تؤرخ لتطور أفكاره من الشك و الحيرة، و اللاإرادية، من الإيمان بالعقل، إلى عدم اليقين به، من الإيمان بالجبرية، إلى الضراعة لله و الاستسلام لمشيئته، من توكيده لإرادته في ممارسته للموت في الحياة، برفض الزواج و متعة الحياة من طعام وشراب و لباس، واعتزال للناس "[3].

و يشير الدكتور عمر فروخ إلى أنّ الفلسفة العلائية – إنّ جاز لنا تسميتها كذلك – " في أكثرها، إنما هي استعراض و نقد و تحليل، فليس من المنتظر أن تجد في مادتها ابتكارا ظاهرا، و لكنك واجد على كل حال في أسلوبها ابتكارا عظيما. إنّ الأسلوب الذي عالج به المعري تلك القضايا القديمة المعروفة، في هذا الثوب الشعري اللماع، و بهذا النفاذ من البصيرة النيِّرة، و بذلك التهكم المرّ اللاذع المضاف إليها، هو الذي خلق عبقرية المعري، و أحلّه مكانا رفيعا بين جبابرة التفكير، و مكانا متواضعا في تاريخ الفلسفة" [4].

إعتمد أبو العلاء إذن، على العقل و كان له إسهام في الفلسفة الأخلاقية، و الفلسفة الطبيعية، و ما إلى ذلك من ميادين الفلسفة، بكل تشعباتها و اهتماماتها. و هذا ما يجعل منه فيلسوفا، بكل جدارة و استحقاق، " لأنه لم يكن يتناول تلك المسائل الفكرية تناولا جماليا بحتا، يجعل منها مجرد تمويهات شاعر، و لإنّما كان يعرضها بدقة، و يحللها بعمق، و يُحكم فيها العقل دائما، ثم يصُبها

([1]) - المصدر السابق، ص: 49 – 50.
([2]) - إبراهيم العاتي، الزمان في الفكر الإسلامي، ص: 45.
([3]) - عبد القادر محمود، رحلة إلى الدار الآخرة مع المعري و دانتي، مركز الكتاب للنشر ، القاهرة ، 1997، ط 01، ص: 32 – 33.
([4]) - عمر فروخ، حكيم المعرة، ص: 61.

في قالب فني رفيع، و ما أشبهه في هذه الناحية(بـنيتشه) [1] من بين المحدثين "[2]. و في هذا الشأن أيضا يشير سامي الكيالي إلى " أننا نجد في حدائق أبي العلاء العابسة الكئيبة، تشاؤم شوبنهور، و سخرية أناتول فرانس، و الكثير من هذه المذاهب و الفكرات الشائعة في عصرنا هذا؛ ففلسفته لم تقف عند واحات الزهد و العزلة بل تعدتها إلى الأخلاق و السياسة و الإجتماع و الدين و الإنسان و الخالق"[3].

يقول المعري في لزومياته:

يرتجي الناس أن يقوم إمـــــام ناطق في الكتيبة الخرســـاء

كذب الظن، لا إمام سوى العـقل مشيرا في صبحه و المســاء[4]

و يقول أيضا حاثا على إتباع العقل و الأخذ به:

أيها الغرّ إنْ خصصت بعقـــل فاسألنه فكل عقل نـــبـــي[5]

فالعقل سبيل إلى المعرفة كما جاء في قوله:

خذوا في سبيل العقل تهدوا بهديه و لا يرجون غير المهيمن راجي[6]

2.2- موقف الفريق الثاني: المعري شاعرا.

و على عكس ما يذهب إليه الفريق الأول، من أنّ أبا العلاء المعري فيلسوفٌ مفكر، إذ بحث في المسائل الطبيعية و الرياضية، و الخلقية، و ما إلى ذلك من المسائل الفلسفية المعقدة، و أنه كان فيلسوفا علما و عملا، و طابق بين قوله و فعله. فإن هناك فريقا ثانيا يرى العكس تماما، و ينفي صفة الفلسفة عن المعري، و يزحزحه من المكانة التي حظي بها عند الفريق الأول، الذي رأى في المعري فيلسوف الإنسانية و حكيمها.

هناك نقطة أساسية يتمسك بها أصحاب الرأي الثاني، و هي كون الفلسفة تجبر صاحبها، أي الفيلسوف الباحث فيها، أن يكون صاحب مذهب معيّن، لا يحيد عنه، و يكون له بمثابة مبدأ فكري

([1]) - نيتشه: فيلسوف ألماني (1844 م– 1900 م).
([2])- إبراهيم العاتي، الزمان في الفكر الإسلامي، ص: 45.
([3]) - سامي الكيالي، أبو العلاء المعري دفاع المؤرخ ابن العديم عنه، ص: 183.
([4]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم ج01، ص: 64.
([5]) - المصدر السابق، ج02، ص: 538.
([6]) - أبو العلاء المعري، لزوم ما يلزم،ج01، ص: 219.

يعتمد عليه، و يسير على نحوه. فلا يعقل حسب رأيهم، أن نُسميَ شخصا فيلسوفا، و هو يفتقر إلى مذهب معين. فعلى هذا الأساس يبني الدكتور حنا الفاخوري رأيه و موقفه من أبي العلاء المعري، إذ لا نستطيع – على حدّ قوله – أن نعتبر آراء أبي العلاء فلسفة بالمعنى الدقيق، لأنه لم يكن صاحب مذهب منظم و محدد كأرسطو و ابن سينا[1].

وهذا الدكتور ميخائيل مسعود، يؤكد و يدعم رأي الفاخوري. حين يقول: " ليس لفلسفة أبي العلاء طرق و لا مناهج محددة، فالذي يقول بهذه الفلسفة يحتاج إلى الأدلة و البراهين لإثباتها، و الذي ينفي هذه الفلسفة و يرفضها يحتاج إلى الأدلة و البراهين لنفيها، فنحن لا نملك الكتاب الفلسفي الذي ألفه أبو العلاء، و لا نملك حتى ملخصا لفلسفته على نحو ما صنع الفارابي و غيره من جماعة الفلاسفة"[2].

إستنادا إلى رأي الدكتور ميخائيل في قوله هذا، يمكن أن نشير إلى شيء مهم في موقفه ، فقد سبق لنا عرض موقفه ضمن موقف الفريق الأول، و الذي ذهب إلى القول أنه، من الضروري تسمية المعري فيلسوفا لما ميز لزومياته، من تعمق نظر و تفحص ثاقب في البحث عن الحقائق الفلسفية، و رأى أن اللزوميات ديوان أحاط بالقضايا الفلسفية الإلهية، و الرياضية و الطبيعية و الخلقية، و ما فيها من مواقف فلسفية عميقة الجذور [3]. و هذا إن دل على شيء، فإنما يدل ربما، على تذبذب في الموقف، أو أنه تناقض وقع فيه صاحبه.

و الدكتور شوقي ضيف يضم موقفه إلى موقف الفريق الثاني، حين رأى أن المعري لم ينمِّ مذهبا، من مذاهب الفلسفة اليونانية، و لذا كان من الخطأ، أن يجعل بعض النقاد، أبا العلاء فيلسوفا بالمعنى اليوناني لهذه الكلمة، فهو لم يلخص الفلسفة اليونانية، فضلا عن أن يكون من المنمّين لها، و لا كان من المتعلقين بمذهب من مذاهبها، فمن العجب، أن يُسمُّوه فيلسوفا، أو أن يُحشر في زمرة الفلاسفة [4]. ومن الحجج و الأدلة التي يسوقها الدكتور شوقي ضيف، لتدعيم رأيه هذا؛ أن المعري المعري لم يترك لنا أية نظرية فلسفية، معللة أو موضحة، فكيف له بصنع نظريات؟ إنّه لم يكن

([1]) - حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي و تاريخه (الأدب المولد)، دار الجيل، بيروت، 2003م، ط 03، ج 02، ص: 482.

([2])- ميخائيل مسعود، أدباء فلاسفة، ص: 221 – 222.

([3]) – المصدر السابق، ص: 222.

([4])- شوقي ضيف، الفن و مذاهبه في الشعر العربي، ص: 388.

يفكر تفكيرا فلسفيا، هذا التفكير الذي يقوم أساسا على صنع الكليات، فالمعري إنما كان يفكر تفكيرا أدبيا خالصا، يقوم على التشاؤم و السخط [1].

فلا يمكن أن نطلق على أبي العلاء اسم الفيلسوف و لا هو صاحب فلسفة، كما لا يمكن اعتبار اللزوميات كتابا في الفلسفة، لأنه – على حد تعبير عائشة عبد الرحمان – شاعر بكل ما في الكلمة من معنى و أديبا، و فنانا لغويا بارعا، فالمعري شاعر بمعنى متسع جدا، و لكنه شاعر على كل حال، و ليس هو بالفيلسوف البحت، و هو فنان أيضا لأنه أراد أن يبرر تجربته النفسية في قالب رائع من اللفظ، و أسلوب شيق من رقة القافية، وفتنة الوزن.[2]

كما يذهب الدكتور كمال اليازجي، إلى القول أن المعري ليس فيلسوفا، و لا يمكن أن نلصق به صفة الفلسفة و نور حكمتها؛ لأنه " لم يجعل من اليقين أو الشك أو التجاهل، مذهبا يبنـــي عليه سائر آرائه، بل ربما تنقل بين هذه المواقف في القضية الواحدة، أو في قضايا متشابهة، و هذا ليس من خلال الفيلسوف"[3].

و يردّ على أنصار الرأي الأول، الذي يثبت صفة الفلسفة بلزوميات المعري، متسائلا: و لكن أين آراء أبي العلاء الطبيعية و الإلهية من كتاب النجاة لابن سينا؟ و أين آرائه الإجتماعية من مقدمة ابن خلدون؟ و أين آرائه الأخلاقية من تهذيب الأخلاق لمسكويه؟ . مضيفا أنّ هذه الكتب موضوعة على أسس فلسفية نظرية، و تتسم بالشمولية في البحث و التقصي عن حقائق الأمور، كما أنها متفرعة القضايا، متماسكة الجزئيات، أما ما جاء في لزوميات المعري، ما هي إلا آراء و خطرات عابرة أملتها المناسبات و غذّاها شعور شاعر [4].

ثم يمضي الدكتور اليازجي، في عد بعض الأوصاف التي تتفق فيها اللزوميات مع المؤلفات الفلسفية، ذاكرا منها:

- عمق التفكير و الميل إلى التحليل المنطقي.
- السعيُ وراء الحق بكل إخلاص و جـــــهد.

([1])- المصدر نفسه، ص: 394.

([2]) - عائشة عبد الرحمان، الحياة الإنسانية عند أبي العلاء، مطبعة المعارف، القاهرة، 1941م، ص: 65 - 72. نقلا عن: سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة و الدين، ص: 56.

([3]) - كمال اليازجي، أبو العلاء و لزومياته، ص: 582.

([4]) - كمال اليازجي، أبو العلاء و لزومياته، ص: 636.

- النظر في مختلف نواحي الحياة بالنقد و التحليل.
- إشتـراط التطبيق العملي (مطابقة القول للفعل).

فهذه الأوصاف التي تشتـــرك فيها اللزوميات، مع المؤلفات الفلسفية، ليست كافية للقول أن اللزوميات كتاب فلسفي – على حد تعبير اليازجي – و حجته في ذلك، أنه هناك مبادئ أساسية أخرى لا مفرّ منها، لم يستوفها المعري في اللزوميات. و على هذا الأساس لا يمكن عدّ اللزوميات كتاب في الفلسفة، و لا يمكن عدّ صاحبه فيلسوفا بالمعنى اليوناني الدقيق للفلسفة.

يبنـي الدكتور اليازجي موقفه هذا، على الأدلة التالية، و هي ما يؤخذ على المعري في لزومياته، التي لا يمكن لها أن تكون كتابا في الفلسفة:

- عدم الشمول في البحث: إذ أن المعري لم يستنفد كل ما قيل في الإلهيات و الطبيعيات، و الإجتماعيات و الأخلاقيات.
- عدم التسلسل: فاللزوميات تمثل مجموعة آراء أبي العلاء، المتفرقة و المبعثـرة عن آخرها، فقلّما يجمعها التسلسل المنطقي و الإرتباط المحكم.
- كثرة التردد: فمن طبيعة الأسلوب الفلسفي، أن يكون واضح القول، صافي المرامي، و الفلسفة – على هذا الأساس – تنافي التردد.
- عدم وجود مبدأ عام: فأبو العلاء يدين بالعقل في الأخلاقيات و الإجتماعيات، و الطبيعيات و سائر الشؤون العملية. و يدين باللاّأدرية في بعض المعضلات الفلسفية الغيبية، و يدين بالإستسلام الروحي في كثير من المسائل الروحية. و المذهب الفلسفي مفروض فيه أن ينشأ من منهج واحد؛ يقينـــي أو روحي، أو تشكيكي، أو لا أدري، لا أن يكون خليطا من هذا و ذاك.[1]

يختم الدكتور كمال اليازجي موقفه من أبي العلاء و لزومياته بالقول: " فاللزوميات ليست شعرا ملحميا – بالمفهوم العالمي لهذا الشعر – و لا هي ديوان فلسفي، بل مجموع من الخطرات الشعرية

(1)- المصدر السابق، ص: 636 – 637.

في النقد الإجتماعي و الفكري و الديني، أفرغ في قالب ملتزم من الشعر العربي القديم. و هو بهذه الصفة نسيج وحده في أدبنا العربي "[1].

3.2- موقف الفريق الثالث: المعري فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة.

أمّا الفريق الثالث، فهو الفريق الذي لم يستطع أن يحشر المعري في وصف دون الآخر؛ فلا هو مثبت لفلسفته، و لا هو منكر لها. فعادة ما يجمع بين الوصفين، فيكتفي أنصار هذا الفريق بالقول: أبو العلاء المعري شاعر الفلاسفة و فيلسوف الشعراء.

إنهم الحائرون المترددون، أيحكمون على المعري بأنه فيلسوف؟ أم ماذا؟ أم يذهبون مذهب الذين أجازوا نفي الفلسفة و الشعر معا عن أبي العلاء المعري؟ لقلة روائعه الشعرية مع كثرة آثاره النظمية، فلا يكون من الشعراء المعدودين، و لا يمكن عده فيلسوفا، لتردده و عدم ابتداعه لمذهب من المذاهب.[2]

من الطبيعي أن نلمس هذا الإختلاف في أمر المعري و لزومياته، أليس المعري من بين أكبر أساطين العربية و شعرائها المشهود لهم بالسبق و التفوق. ثم إننا نشهد شيئا مُهِما و مشتركا في آراء الدارسين، و مجمعين عليه، و هو أن المعري مفكر عظيم، و باحث فذّ عن الحقيقة النظرية و المجردة عن الأهواء، و النوازع الذاتية، فإنه و إن لم يكن فيلسوفا، فهو " شاعر الفلاسفة و فيلسوف الشعراء ".[3]

كما اعتبر محمد عبد الله المدني، أن الوصف الذي يصلح لأبي العلاء المعري، هو وصف حكيم الشعراء، من خلال قوله: " هو حكيم الشعراء، و فيلسوفهم"[4].

إكتفى الأستاذ فؤاد أفرم البستاني، أن يجعل من المعري ذلك الذكاء الحاد، و العقل المغرور المعجب بذاته، و ذلك الشعور المرهف، و هو الذي يقول مؤكدا بأن شخصية المعري، فيها الفيلسوف و الشاعر و المصلح في آن، بحيث يقول: " فليس أبو العلاء بالكافر الملحد، و لا

([1]) - المصدر السابق، ص: 640.
([2]) - أحمد الشايب، أبو العلاء المعري شاعر أم فيلسوف، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 45.
([3]) - حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي(الأدب المولد) ج 02، ص: 482.
([4]) - أبو العلاء المعري، عبث الوليد، شرح و تحقيق: محمد عبد الله المدني، مطبعة الترقي، دمشق، 1936م، د ط ، ص: 15.

بالمؤمن المستسلم، و لا بالشاك الحائر شكا علميا، و لا بالفيلسوف المادي، إنما هو ذكاء حاد، و عقل معجب بذاته حتى الغرور، و شعور مرهف بوطأة مصائبه خاصة و مصائب قومه عامة؛ و فضول مستيقظ لما يقال في زمانه – و في كل زمان – في جور الحكام، و فساد الأخلاق، و حيل النساء خاصة، و رياء رجال الدين، و بقية إيمان في قرارة النفس تكاد تخنقها هذه الموجات الطامية، ثم هو فوق ذلك، بلاغة صارخة على هدوئها، و حجة دامغة، واستنتاج جارف ".[1]

و كأن المعري– بالنسبة إليه – جامع لكل الصفات الحسنة، من توقد للخاطر، و حدة في العقل، و ضمير صاح، و أديب شاعر متمكن من البلاغة و نور إيحائها. و كأني به يرفض أن نحشر المعري في وصف من الأوصاف، و نحرمه من كل الأوصاف التي يمكن إطلاقها على شخص أبي العلاء، إنه ذلك الكل المركّب، شاعر حكيم، و حكيم شاعر.

المعري على حد قول أديب وهبة، ذلك " الشاعر المـــلهم و الحكيم الواعي، و الفيلسوف إذا سار مع ميوله الطبيعية"[2]. إنّه ذلك الشاعر الجامع بين إلهام الشاعر، و حكمة الحكيم، وآراء الفيلسوف المتسائل عن أسرار هذا الكون و ما إليه. و يضيف قائلا: " فإن شاعرنا الفيلسوف، من أرباب الخلود الذين أنارت خواطرهم و سوانحهم، عقول المثقفين و زادوا ثروة العالم الفكرية، فلا غرو إذا أن يحتفل به العرب احتفال الأمم الأخرى بأكبر مفكريها"[3].

و يشير الدكتور خليل شرف الدين إلى أن أبا العلاء المعري: " فيلسوف الشعراء إلى حد كبير، و شاعر الفلاسفة إذا صح التعبير، حين يكون في دائرة الفكر، و العقل و التأمل و الحكمة و الإبداع، يخرج نهائيا من دائرة الشعراء التقليديين الصغار، و يقرب جدا من الفلسفة"[4]

والحقُّ، إن من يدرس نتاج أبي العلاء نثراً وشعراً يجد أنه في آرائه ومعتقداته، مُطلعٌ على الفلسفات بكلِّ أشكالها : اليونانية والهندية والفارسية ، ولكنه لم يَتَبَنَ فلسفة واحدة بذاتها، وإن ظهر تأثره بجزئيات إنتقائية من هنا وهناك منها. كما أنه مُطّلعٌ على ما كان عند الفلاسفة المسلمين ، وهو رجل واسع التعمق بالأديان والمذاهب والفِرَق الدينية التي امتلأ بها عصره ، فقرأ وناقش وأدلى

([1]) - فؤاد أفرم البستاني، من ضحايا العقل، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 310.
([2]) - أديب وهبة، من هو أبو العلاء، ضمن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، ص: 325.
([3]) - المصدر السابق، ص: 328.
([4])- خليل شرف الدين، المعري مبصر بين عميان، ص: 47 – 48.

برأيه وبسط رؤيته في كلِّ نتاجه، وخاصة في الطور الأخير من حياته و هو طور اللزوميات، والتي ألزم نفسه فيها أن تكون القافية على حرفين لا على حرف واحد. ومن ثَمَّ فهو شاعر لامس الفلسفة في خواطره، وإن أفكاره ونتاجه الشعري نتاج تأمل فلسفي، يتناول القضايا الكونية والإنسانية.

خـــاتـــمة

أشرف البحث على النهاية، و هو البحث الذي حاول دراسة شاعر نعده من جهابذة الأدب العربي، و أساطينها المشهود لهم بالتفوق و الإنفراد، فكانت رحلة البحث شاقة و ممتعة في آنٍ، فاجتهدت قدر المستطاع، من أجل تقديم دراسة موضوعية، بعيدة عن الذاتية العمياء، معتمدا على آثار أبي العلاء المعري القيّمة، التي تعتبر لسان حاله؛ من دواوين شعرية أو ما نثره في كتبه الأخرى.

قمت بدراسة السجال النقدي الدائر حول لزوميات أبي العلاء، من خلال تتبع آراء القدماء و المحدثين، و موقفهم من لزوميات أبي العلاء، فتقيدتُ بالقراءة الصارمة – إن صحّ التعبير – فغربلتُ كل الآراء المتاحة، مع مقارنتها بما ورد في لزوميات أبي العلاء، معتمدا أيضا على ردوده في زجر النابح، و اكتشفت تعسّف بعض الباحثين في أمر أبي العلاء، و ظلمهم له في أحايين كثيرة، فحاولت أن أكون منصفا، و عادلا في الحكم على آراء الجانبين، بما تتيحه القراءة المتأنية، دون أن أميل إلى جانب أو آخر، مع الأخذ بعين الإعتبار الأدلة و البراهين التي تثبت حكما أو تنفيه.

و من النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة نذكر:

1- كان المعري فريدا من نوعه؛ إذ عُرف بذكائه المفرط، و حنكته و قوة ذاكرته، حتى عده بعضهم أسطورة في الحفظ، و اعترف له السابقون و اللاحقون بسعة علمه و ثقافته، أضف إلى ذلك رقة قلبه، و رحمته التي تعدّت الإنسان إلى الحيوان.

2- إضطرب كل شيء في نظره؛ إضطربت مقاييس الحياة، و اختل النظام، و لم يعد ينظر إلى الحياة، إلا هذه النظرة السوداء البغيضة، التي تنطوي فيها خيوط فلسفته التشاؤمية.

3- لم يظفر أبو العلاء المعري، بالعزلة التي كان يتمناها، فلم يتركه الطلبة يتنعم بجحيم سجونه الثلاثة.

4- العزلة أهم سمة في المرحلة الأخيرة، من حياة أبي العلاء، لما تشكل من تحول خطير في مسار حياته، و خاصة ما طبع لزومياته جراء هذه العزلة.

5- ينقسم شعر أبي العلاء إلى قسمين:

أ- شعر الحداثة؛ و هو ما قاله في ربّان الحداثة، أي في شبابه و هو المعروف بديوان سقط الزند.

ب- أما القسم الثاني فهو شعر الكهولة؛ الذي يمثله ديوان اللزوميات أو (لزوم ما لا يلزم)، و هو موضوع رحلة بحثنا هذا، و نواة دراستنا الأساسية، و اللزوميات ديوان شعر ضخم، يضم زهاء إحدى عشرة ألف بيت، و هو ديوان فكره و فلسفته في الحياة، و قد نهج المعري نهجا خاصا و مختلفا في نظم هذا الديوان؛ فهو يختلف في نظمه عن سقط الزند، و ما هو متعارف عليه في نظم الشعر، عند العرب القدامى شكلا و مضمونا. أما من ناحية الشكل، فقد اختص بنظم اللزوميات، و قيّد قلمه بقيود لم يكن العرب على عهد بها، و ألزم نفسه فيما لا يلزم، أما من ناحية المضمون فلم ينشئ قصائد في المديح و النسيب و الغزل و الرثاء و الهجاء، إنما اختص بالتعبير عن أحاسيسه و مشاعره، و تأملاته تجاه القضايا الكونية و الفلسفية و كل ما يتصل بالإنسانية.

6- تعتبر محاولة أبي العلاء الشعرية في لزومياته، محاولة إبداعية جادة، تعكس توقه إلى الخروج على الأنماط السائدة، و التـــي هيمن عليها التشاكل و التماثل لعصور خلت. و يمكن اعتبار ذات المعري الشعرية، ذات باحثة فريدة من نوعها، و هي تبحث بإلحاح و إصرار شديدين، عن الحقيقة و عن الجديد؛ بحث المعري عن الجديد، فكان له ذلك، إذ لم يعرف القدماء و المحدثون، إلا نوعا واحدا من لزوم ما لا يلزم، و هو ما بُنيت عليه لزوميات المعري.

7- يفضل أبو العلاء المعري الصدق. و الأدب عنده شديد الصلة بالأخلاق، و الشعر عنده منزّه عن أسباب التكسب الحقيرة، و قد تبرّأ من هذه الصفة الذميمة التي وقع ضحية لها، عدد لا يستهان به من الشعراء.

8- على يدي أبي العلاء المعري، خرج الشعر من دائرته القديمة الضيقة، ليدخل آفاقا أرحب و أوسع، مداها الكون و الإنسان، و حتى الحيوان. فأصبح الشعر عنده، وسيلة للفكر المتأمل، و بوتقة يُسكب فيها الوجدان الصادق، و تعبيرا مُشعا عن حقائق الوجود و الموجود، و نقدا ساخرا لكل ما يشوههما.

9- ليست اللزوميات لعبا و لهوا، و لا هي من قبيل الهيمان الشعري، الذي يقول صاحبه غير ما يعتقد، و إنما هي لمحات شعرية، أقرب إلى الصدق الواقعي، منها إلى الكذب الشعري، و لذلك اعتُبرت ترجمة أمينة لما في متخيل مؤلفها من نية و معتقد.

10- من أهم خصائص شعر المعري في لزومياته؛ الإشتمال على الأمثال والحكم والحكمة ، و خصوبة الخيال ، و تكلمه عن التاريخ والحوادث التاريخية ورجال العرب الذين اشتهروا بفعل حوادث تاريخية مشهورة.

11- إختلفت الآراء، و تباينت المواقف، حول عقيدة و إيمان أبي العلاء، فانقسم المختلفون إلى ثلاثة أفرقاء؛ فريق يكفر أبا العلاء، و يحشره في زمرة الكفرة بالله الواحد الأحد. و فريق مدافع عن عقيدة أبي العلاء، و يعدونه من الأولياء الصالحين، و العابدين الزاهدين. و فريق "بين بين"، إنهم الحائرون؛ أيكفرون الرجل أم يعترفون له بصحة العقيدة؟ إنهم يتركون الحكم لله، و حجتهم في ذلك أن الله أعلم بخلقه من سواه، فلا يجوز للمرء أن يتدخل في أمور كهذه.

12- آمن المعري بالله و رسله و كتبه، و يوم البعث و النشور و الحشر، فلم يكن كافرا زنديقا، و لزومياته تعج بآلاف الأبيات الشعرية التي تثبت، صدق إيمانه، و صفاء سريرته.

13- إن الأبيات الشعرية المنسوبة إليه، و التي يزعم بعض خصومه؛ أنها أبيات دالة على كفر أبي العلاء، أبيات موهومة، فقد أثبت البحث أنها أبيات موضوعة من قبل خصوم أبي العلاء، قصد إيذائه ، و المساس بسمعته، لأن أغلب الأبيات المنسوبة إليه، لا تجد لها أثرا في ديوانيه الشعريين.

14- لم تتفق كلمة الباحثين و الدارسين، لتراث أبي العلاء في لزومياته، فمنهم من يعد اللزوميات كتاب في الفلسفة، و أبو العلاء المعري فيلسوف بأتم معنى الكلمة. و هناك من ينكر صفة الفلسفة عن أبي العلاء، و يبعده عن عرش الفلسفة و حكمتها. و هناك من يعد أبا العلاء في لزومياته رجلا جمع بين الفلسفة و الشعر، فاستحق بذلك لقب فيلسوف الشعراء و شاعر الفلاسفة.

15- اتفق كل من القدماء و المحدثين على رفعة مكانة أبي العلاء الأدبية، و علو كعبه في النظم و النثر، فكان بالنسبة إليهم علامة في الدهاء، و سعة في العلم، و متمكنا في شتى المجالات العلمية، المتوفرة في عصره، رغم ما طبع آراء بعضهم من المتقدمين و المتأخرين عنه؛ التي تقول بالتكلف و الإلغاز و الإتيان بالغريب في لزومياته.

و في الختام أرجو أن يكون بحثي هذا، بحثا يضاف إلى المكتبة العربية، و عونا للذين يتوقون إلى دراسة التراث العربي، الممثل في شعر أبي العلاء المعري، و أملي لكبير في أن تكون هذه الدراسة قد توصلت إلى نتائج ترضي البحث العلمي. و إن أخطأت فمن نفسي و من الشيطان، و الله المستعان.

قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم.

قائمة المصادر و المراجع:

المعاجم:

1- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ج 1، دار الجيل بيروت، ط 1، 1991 م.

2- جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري (ت 711 هـ)، لسان العرب ، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط1، 2002م.

المصادر و المراجع:

3- إبراهيم العاتي، الزمان في الفكر الإسلامي(ابن سينا – الرازي الطبيب – المعري)، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت – لبنان ، ط1، 1993م.

4- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، الجزء 01، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د ط، د ت .

5- أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تحقيق: محمد عزت نصر الله، المكتبة الثقافية، بيروت – لبنان،د ط، 1968م.

6- ــــــــــــ، رسائل أبي العلاء المعري، طبعه في المطبعة المدرسية في مدينة أوكسفورد: هورس هارت مدير المطبعة، ط 2، د ت .

7- ــــــــــــ، زجر النابح - مقتطفات - ، جمع و تحقيق: د. الدكتور أمجد الطرابلسي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط2، 1982م.

8- ــــــــــــ، سقط الزند، شرح: د. أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان،1990، ط 01، ص: 181 وما بعدها.

9- ــــــــــــ، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (معجز أحمد)، الجزء 01، تحقيق: د. عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة،ط2 ، 1992م.

10- ــــــــــــ، عبث الوليد، شرح و تحقيق: د. محمد عبد الله المدني، مطبعة الترقي، دمشق،د ط ، 1936م.

11- ـــــــــــ، لـزوم مـا لا يلـزم، الجـزء الأول، شـرح: د. كمـال اليازجي، دار الجيل ، بيروت،ط1 ، 1992م.
12- ـــــــــــ، لـزوم مـا لا يلـزم، الجـزء الثـاني، شـرح: د. كمـال اليازجي، دار الجيل ، بيروت،ط1 ، 1992م.
13- أبـو عبـد الله يـاقوت بـن عبـد الله الرومـي الحمـوي، إرشـاد الأريـب فـي معرفـة الأديـب (معجـم الأدبـاء)، الجـزء01، دار الكتـب العلمية، بيروت– لبنان، ط1 ، 1991م .
14- أبـو محمـد عبـد الله بـن محمـد بـن السـيد البطليوسـي، شـرح المختـار مـن لزوميـات أبـي العـلاء، تحقيـق: د. حامـد عبـد المجيـد، الهيئة المصرية العامة للكتاب،دط،الجزء الأول، د ط، 1991م.
15- أبـو منصـور عبـد الملـك الثعـالبي النيسـابوري، يتيمـة الـدهر فـي محاسـن أهـل العصـر، الجـزء 05، شـرح و تحقيـق: د. مفيـد محمـد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط1، 1983م.
16- أحمـد تيمـور باشـا، أبـو العـلاء المعـري نسـبه و أخبـاره، مطبعـة لجنة التأليف و الترجمة و النشر،د ط، 1940م.
17- أحمـد حسـن الزيـات، تـاريخ الأدب العربـي، دار نهضـة مصـر للطبع و النشر، الفجالة – القاهرة،د ط، د ت.
18- تعريـف القـدماء بـأبي العـلاء المعـري، جمـع و تحقيـق: د. مصـطفى السـقا ، عبـد الـرحيم محمـود، عبـد السـلام هـارون، إبـراهيم الأبيـاري، بإشـراف الأسـتاذ طـه حسـين، دار الكتـب و الوثـائق القومية، ط 4، 2003م.
19- تغريـد زعيميّـان، الآراء الفلسـفية عنـد أبـي العـلاء المعـري و عمر الخيام ، الدار الثقافية للنشر،القاهرة، ط 1، 2003م.
20- جـابر عصـفور، المرايـا المتجـاورة - دراسـة فـي نقـد طـه حسـين - ، دار قبـاء للطباعـة و النشـر و التوزيـع عبـده غريـب، القاهرة،د ط، 1998م.
21- جعفـر خريبـاني، أبـو العـلاء المعـري رهـين المحبسـين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط1، 1990م.
22- حسـين طـه، تجديـد ذكـرى أبـي العـلاء المعـري، دار المعـارف بمصر، القاهرة، ط 7، د ت.

23- ـــــــــــــ ، أبـــو العـــلاء المعـــري، دار الكتـــاب اللبنـــاني، بيروت،ط2 ، 1983م.

24- ـــــــــــــ، مـــع أبـــي العـــلاء فـــي ســـجنه، دار المعـــارف، القاهرة، د ت، د ط .

25- حميـد سـمير، الـنص و تفاعـل المتلقـي فـي الخطـاب الأدبـي عنـد المعـري – دراسـة - ، منشـورات اتحـاد الكتـاب العـرب، دمشـق،د ط، 2005م.

26- حنـا الفـاخوري، المـوجز فـي الأدب العربـي و تاريخـه (الأدب المولد) ، دار الجليل، بيروت، ط 3، الجزء الثاني، 2003م.

27- خليـل شـرف الـدين، أبـو العـلاء المعـري مبصـر بـين عميـان، منشورات دار و مكتبة الهلال، بيروت،د ط، 1995م.

28- سـامي الكيـالي، أبـو العـلاء المعـري و دفـاع المـؤرخ ابـن العـديم عنه، دار سعد مصر للطباعة و النشر،د ط، 1945 م.

29- سـناء خضـر، النظريـة الخلقيـة عنـد أبـي العـلاء المعـري بـين الفلسـفة و الـدين، دار الوفـاء لـدنيا للطباعـة و النشـر، الإسـكندرية،د ت، د ط،1999م .

30- شـــوقي ضـــيف، الفـــن و مذاهبـــه فـــي الشـــعر العربـــي، دار المعارف، القاهرة، ط 6، د ت.

31- ـــــــــــــ، تـــاريخ الأدب العربـــي – العصـــر العباســـي الثاني - ، دار المعارف، القاهرة،ط12، 2001م.

32- صـالح حسـن أليظـي، الفكـر و الفـن فـي شـعر أبـي العـلاء، دار المعارف ، الإسكندرية، د ت، د ط.

33- صـــلاح الـــدين خليـــل بـــن أيبـــك الصـــفدي، الـــوافي بالوفيـــات ، الجـــزء07 ، تحقيـــق: د. أحمـــد الأرنـــاؤوط، تزكـــي مصـــطفى، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط 1، 2000م.

34- صـلاح رزق، نثـر أبـي العـلاء المعـري – دراسـة فنيـة -، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة،د ط،2006م.

35- ضـياء الـدين بـن الأثيـر، المثـل السـائر فـي أدب الكاتـب و الشـاعر، الجـزء الأول، قدمـه و علّـق عليـه: د. أحمـد الحـوفي/ د. بـدوى

طبانــه، دار نهضــة مصــر للطبــع و النشــر ، الفجالــة ــ القــاهرة، د ط، د ت.
36- عائشــة عبــد الرحمــان، الحيــاة الإنســانية عنــد أبــي العــلاء، مطبعة المعارف، القاهرة، 1941 م.
37- ــــــــــــــــ، الغفــران - دراســة نقديــة-، دار المعــارف، القاهرة، ط4 ، د ت.
38- ــــــــــــــــ، مــع أبــي العــلاء فــي رحلــة حياتــه، دار الكتــاب العربي، بيروت ــ لبنان،ط1، 1972م.
39- عبــد الفتــاح كيليطو،أبــو العــلاء المعــري أومتهــات القــول،دار توبقال للنشر،المغرب،ط1، 2000م.
40- عبــد القــادر زيــدان، قضــايا العصــر فــي أدب أبــي العــلاء المعــري، الجــزء الأول ، دار الوفــاء لــدنيا الطباعــة و النشــر،ط1، 2004 م.
41- عبــد القــادر محمــود، رحلــة إلــى الــدار الآخــرة مــع المعــري و دانتي، مركز الكتاب للنشر ، القاهرة ، ط1، 1997م.
42- عبد الله العلايلي، المعري ذلك المجهول ، منشورات الأديب ، بيروت،ط1،1944م.
43- علــي كنجيــان خنــاري، مصــادر ثقافــة أبــي العــلاء المعــري، الدار الثقافية للنشر، القاهرة،ط1، 2001م.
44- عمــر فــروخ، حكــيم المعــرة، دار لبنــان للطباعــة و النشــر، بيروت ــ لبنان،د ط، 1978م.
45- كــاظم حُطــيط، أعــلام و رواد فــي الأدب العربــي، مكتبــة الــدار العربية للكتاب، القاهرة،الجزء الأول،ط1،2003م
46- كامــل حمــود، دراســات فــي تــاريخ الفلســفة العربيــة، دار الفكــر اللبناني ــ بيروت،ط1، 1990م.
47- كامــل ســعفان، فــي صــحبة أبــي العــلاء بــين التمــرد و الانتمــاء، دار الأمين للنشر و التوزيع، القاهرة،ط1، 1993م.
48- كمــــال اليــــازجي، أبــــو العــــلاء و لزومياتــــه، دار الجيــــل، بيروت،ط2، 1997م.

49- محمد فتحي عبد الله، الجدل بين أرسطو و كانط [دراسة مقارنة]، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت،ط1، 1995م.
50- مصطفى السعدني، البناء اللفظي في لزوميات المعري – دراسة تحليلية بلاغية -، منشأة المعارف بالإسكندرية، د ط ، د ت.
51- ميخائيل مسعود، أدباء فلاسفة، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان،ط1، 1993م.
52- ناصر خسرو علوى، سفر نامة، ترجمة: د. يحيى الخشاب،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط2، 1993م.
53- الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، انباه الرواة على أنباه النحاة، الجزء الأول، تحقيق: د. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة/ مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت،ط 1، 1986م.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة.....,.....01

- **تمهيد: أبو العلاء المعري و جوانب من شخصيته.....07**
- **الفصل الأول: هاجس العزلة و اللزوميات :.....12**
- **المبحث الأول: هاجس العزلة عند أبي العلاء المعري.....14**
- **المبحث الثاني: ديوان لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري.....25**

الفصل الثاني: جدل القدماء حول لزوميات أبي العلاء المعري.....32

- **المبحث الأول: جدل القدماء حول مكانة أبي العلاء الأدبية من خلال اللزوميات....38**
- **المبحث الثاني:جدل القدماء حول معتقد أبي العلاء من خلال اللزوميات.....45**
- **موقف الفريق الأول: المعري كافر زنديق.....46**
- **موقف الفريق الثاني: المعري مؤمن تقي.....49**
- **موقف الفريق الثالث: المعري حائر متردد.....52**
- **المبحث الثالث: إيمان أبي العلاء من خلال اللزوميات:.....61**
- **الإيمان بالله و عظمتـــه.....61**
- **الإيمان بالملائكة و الجن.....65**
- **الإيمان بالكتب و الرسل.....66**
- **الإيمان بالبعث و النشور.....70**

الفصل الثالث: جدل المحدثين حول لزوميات أبي العلاء المعري:.....77

- **المبحث الأول: موقف المحدثين من مكانة أبي العلاء الأدبية.....79**

- المبحث الثاني: موقف المحدثين من مكانة أبي العلاء الفكرية:.....89
- موقف الفريق الأول: المعري فيلسوفا 91
- موقف الفريق الثاني: المعري شاعرا 95
- موقف الفريق الثالث: المعري فيلسوف الشعراء و شاعر الفلاسفة.....99
- خاتمة.....102
- قائمة المصادر و المراجع.....107
- فهرس الموضوعات.....112